من أسرار التعبير بحروف الجر

على خلاف مقتضى الظاهر فيما اتفق عليه الشيخان

د. أنس محمد الغنام

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جامعة الأزهر
المؤتمر العلمي الدولي السادس
كلية اللغة العربية بالزقازيق

من أسرار التعبير بحروف الجر على خلاف مقتضى الظاهر فيما اتفق عليه الشيخان

إعـــــــداد

الدكتور
أنس محمد عبد المنعم الغنام

مدرس البلاغة والنقد
بكلية اللغة العربية بالزقازيق

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، علمه البيان ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، أفصح العرب لسانا ، وأكملهم منطقا وبيانا ، وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد:

فمن الظواهر اللغوية التي توجد في لغتنا العربية ،التعبير بحرف جر بدلا من حرف جر آخر كان من مقتضي الظاهر أن يعبر به ، وهي ظاهرة قد استوقفت كثيرا من علماء العربية ، فأخذوا يبحثون في تفسيرها ، وبيان وجه الحقيقة فيها ، وقد نشأ عن هذا الجهد الحثيث في تفسير هذه الظاهرة ثلاثة مذاهب :

الأول : هو مذهب البصريين : حيث ذهبوا إلى أن هذا من قبيل التضمين ، وهو أن يضمن الفعل المذكور في الكلام معنى فعل آخر ، ويكون حرف الجر المذكور متعلقا بهذا الفعل المضَمَّن.

الثاني : مذهب الكوفيين : أن هذا من قبيل تناوب الحروف ، وأنه يجوز مثلا أن ينوب حرف الجر (على) مكان (في) ، ويكون معنى حرف الجر (على) عندئذ هو معنى حرف الجر (في).

الثالث: وهو التوسط بين المذهبين السابقين:

فهم لا يجيزون التضمين بإطلاق أو تناوب الحروف بإطلاق ، وإنما يقبلون تناوب الحروف عندما تتقارب معانيها ، فإذا لم تتقارب معانيها فإنهم يؤلونها على سبيل التضمين.

وسوف يأتي مزيد توضيح لهذه المذاهب وبيان الراجح منها في تمهيد هذا البحث إن شاء الله تعالى

واهتمام العلماء بهذه الظاهرة يدل على أهميتها ، وعظيم قيمتها في نظم الكلام ، وصياغته على طريقة توحي بكثير من المعاني التي يقصدها

المتكلم ، ويوميء إليها ، ويريد إيصالها للمخاطبين عن طريق هذا التعبير الذي يأتي مخالفا للنسق الطبيعي لتأليف الكلام ، ورصف حروف الجر فيه .

ولأن التعبير بحرف جر دون آخر تكمن وراءه معان شريفة ، ودقائق من البيان بديعة ، لذلك كثر وجوده في القرآن الكريم ، وهذه الكثرة استرعت أنظار الباحثين فتناولوا هذه التعبيرات بالدرس والتحليل مبينين أسرار بلاغتها ، ووجوه البيان فيها ، وإظهار ما تنطوى عليه من المعاني البديعة المقصودة من وراء النظم الكريم .

ومن هؤلاء الباحثين د / محمد الأمين الخضري في كتابه (من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم) ، د/ محمد حسن عواد في كتابه (تناوب حروف الجر في لغة القرآن) ، وغيرهما .

كما وجدت هذه الظاهرة بكثرة – أيضا – في الحديث النبوي الشريف ، وقد استخدمها النبي – ﷺ – في كثير من أحاديثه لأغراض شريفة يتوخاها ، ومعان كريمة يتقصدها ، وهذا هو ما دعاني إلى دراستها وبيان الأسرار البلاغية الكامنة وراءها ، والتى تظهر بوضوح مدي عظمة البيان النبوي ، ومدى دقته وأصالته .

وقد اخترت بعض هذه الأحاديث – موطن الدراسة – من الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم ؛ لأنهما أصح كتب الحديث ، وإذا اتفقا على أي حديث فإنه يبعث الطمأنينة في القلب ، والظن الراجح في النفس أن هذا الحديث هو من كلام رسول الله – ﷺ – ، وليس من كلام أحد سواه .

كما أن هذه الاحاديث المختارة كلها من منطوق كلام رسول – ﷺ – ، وليست من منطوق أحد غيره ، فإن هدف البحث هو تجلية أسرار البيان النبوي من وراء التعبير بحرف جر دون آخر ، فإن هذا هو ما يعنينى في المقام الأول ، لذلك لم أتعرض مطلقا لأحاديث من منطوق الصحابة فيها

التعبير بحرف جر دون آخر ، مع أنها أحاديث صحيحة اتفق عليها البخارى ومسلم.

والدراسة في هذا البحث ليست دراسة استقرائية ، تستقرىء كل الأحاديث التي وردت فيها هذه الظاهرة ، فهذا يتطلب دراسات أوسع ، وبحوثا أشمل ينبغي أن يتوفر عليها باحثون كُثر ، وإنما حاولت انتقاء بعض الأحاديث التي تلقي الضوء على هذه الظاهرة ، وتبين وجه البلاغة فيها ، كما حرصت أن تشتمل هذه الأحاديث المنتقاة على كثير من حروف الجر المعبر بها دون حرف جر أخرى ، حتى تكون الصورة أوضح ، وبيان ملامح هذه الظاهرة أعمق ، وتجلية هذا الجانب المهم من البيان النبوي أبين وأظهر.

هذا ، وقد قسمت البحث إلى :

مقدمة : بينت فيها أهمية هذا الموضوع ، وسبب اختياري له ، وسبب اختياري للأحاديث ، موطن الدراسة.

تمهيد : بينت فيه مذاهب العلماء في تفسير هذه الظاهرة ، وما هو الأرجح من هذه المذاهب.

أربعة مباحث :

المبحث الأول : من أسرار التعبير بحرف الجر (على)

المبحث الثاني : من أسرار التعبير بحرف الجر (في)

المبحث الثالث : من أسرار التعبير بحرفي الجر (من) و (إلى)

المبحث الرابع: من أسرار التعبير ببعض حروف الجر الأخرى

خاتمة : بينت فيها أهم نتائج هذا البحث

قائمة : بالمراجع الواردة في هذا البحث

والحمد لله رب العالمين

التمهيد

من المعلوم أن كل كلمة في اللغة العربية لها معناها الحقيقي الذي تواضع عليه أهل اللغة ، وهذا المعنى الحقيقي هو الأداة التي يتم بها التواصل بين أهل اللغة الواحدة في التعبير عن أغراضهم واحتياجاتهم ، ولا يشذ عن هذه القاعدة أي كلمة من كلام اللغة العربية سواء كان اسما ، أو فعلا ، أو حرفا .

ومع أن هذا هو الأصل في اللغة العربية ، بل في كل لغة إلا أنه في بعض الأحيان قد يخرج المتكلم عن هذا الأصل ، فيستخدم الكلمات في غير معانيها الأصلية حتى يلفت أذهان المتلقين إلى معان أخرى يقصدها المتكلم ، ويومىء إليها .

والخروج عن هذا الأصل ينتظم أقسام الكلمة الثلاثة: الاسم ، والفعل ، والحرف ، إلا أن مسلكه في الأسماء والأفعال يخالف مسلكه في الحروف، ففي الأسماء والأفعال تطلق الكلمة ويراد بها معنى آخر غير معناها الحقيقي ، فإذا قلت: له يد عليَّ سابغة ، فاليد هنا استخدمت وقُصد بها الفضل ، وإذا قلت : فلان يطير إلى حاجته ، فالفعل يطير قصد به الإسراع وهكذا، أما في الحروف فلا يقصد بحرف معنى حرف آخر ، فلا يطلق مثلا حرف الجر (على) ويقصد به معنى حرف الجر (في) ، وإنما الخروج عن الأصل في استخدام الحروف إنما يكون في تعليق الحرف بفعل أو اسم لم يُعلَّق به في أصل اللغة ، أو بمعنى آخر هو استخدام حرف مكان آخر مع بقاء الحرف المستخدم على أصل معناه الموضوع له في اللغة فمثلا : الأصل : أن يعلق حرف الجر (من) بالفعل (شرب) فتقول : شرب من عين الماء ، لكن في القرآن الكريم نجد أنه استخدم حرف الجر (الباء)

بدلا من (من) ، وذلك في قوله تعالى: چ ٱ ب ب ب ب پ پ چ[١] ، فحرف الجر (الباء) هنا ظل على معناه الحقيقي وهو الإلصاق ، ولم يقصد به معنى حرف الجر (من) وهو التبعيض ، والشيء نفسه يكون بالنسبة لتعلق الحروف بالأسماء ، فمثلا ، قول النبي- ﷺ- للرجل الذي رمى زوجته بالزنا «البينة وإلا حد في ظهرك»[٢] فهنا الأصل : أو حد على ظهرك ، ولكن النبي- ﷺ- استخدم حرف الجر (في) بدل (على) لمعان يقصدها ، ويريد لفت الذهن إليها ، مع بقاء حرف الجر (في) على معناه الأصلي وهو الظرفية .

إذا التجوز في الأسماء والأفعال يكون في معانيها ، أما في حروف الجر فيكون في تعلقها مع بقاء معانيها الحقيقية .

وقد استرعت هذه الظاهرة اللغوية – التعبير بحرف جر على خلاف الأصل – أنظار علماء اللغة ، وأخذوا يبحثون عن تفسيرها ، وقد ذهبوا في هذا التفسير مذاهب هي :

الأول : أن هذا من قبيل تناوب الحروف:

وهو ما ذهب إليه جمهور الكوفيين من النحاة[٣] ، فباء الإلصاق مثلا يقولون إنها بمعنى (عن) في قوله تعالى (فسئل به خبيرا) ، أي :

---

(١) سورة : الإنسان . الآية : ٦

(٢) رواه:البخاري (٢٦٧١) كتاب (الشهادات). وأبو داود (٢٢٥٤) كتاب (الطلاق)

(٣) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني، لبدر الدين المرادي المصري، المحقق: فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل صـ ٤٦ ، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، وحاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك،لمحمد بن علي الصبان الشافعي ٣١٢/٢ الطبعة:الأولى ١٤١٧هـ –١٩٩٧م، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.

فسئل عنه خبيرا تكتب الآية – ويقولون بأن (عن) نابت عن الباء في قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى)، أي : بالهوى.

" ولعل لسهولة مأخذ هذا المذهب في فهم الكلام لقي قبولا عند بعض النحويين المتأخرين، وخاصة الذين اعتنوا بدراسة حروف المعاني في كتاب مستقلّ أو خصَّصوا لها أبوابا مستقلة في كتبهم، فابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) ، و (تأويل مشكل القرآن) يؤيد هذا المذهب ، بل عقد في كل من الكتابين بابا في تناوب الحروف بعضها عن بعض، وطبَّقه فيهما تطبيقا واضحا من خلال تحليلاته لمعانيها ، وكذلك أبو القاسم الزجاجي في كتابه (حروف المعاني) وابن فارس في الصاحبي والهروي في الأزهية ، وأبو منصور الثعالبي في كتابه(فقه اللغة وسر العربية) ، وابن الشجري في أماليه، وابن مالك في (شرح الكافية الشافية) و(التسهيل). فهؤلاء ومن وافقهم تابعوا الكوفيين في تناوب الحروف، وانتصروا لمذهبهم في كتبهم بسوق أمثلة، وما يرونه شواهد من الآيات والأشعار المحتجّ بها" [(١)].

وقد تصدى بعض العلماء لهذا المذهب ، ورأوا أن لكل حرف معناه المستقل الموضوع له في اللغة ؛ لذلك لايمكن أن يدل حرف على غير معناه ، لأن هذا يعتبر إفسادا للغة وخروجا بها عن معانيها الحقيقية.

وممن رد هذا المذهب ابن جني حيث قال عنه " هذا باب يتلقاه الناس مغسولًا ساذجًا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه. وذلك أنهم يقولون: إن "إلى " تكون بمعنى مع. ويحتجّون لذلك بقول الله سبحانه:

---

(١) قضية تعاقب الحروف ومذاهب العلماء فيها، د/ قاسم بدماصي ،صـ ٢٤٩ ، ٢٥٠ وهو بحث منشور بمجلة (العلوم العربية) العدد الثاني والثلاثين ، رجب ١٤٢٥هـ وهى مجلة تصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

{مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} أي: مع الله، ويقولون: إن "في" تكون بمعنى "على"، ويحتجون بقوله عز اسمه: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} ٤ أي: عليها"[١].

وقد رده – أيضا – أبو هلال العسكري وبين أن المحققين من أهل العربية على خلافه ، وفي هذا يقول :" قال المحققون من أهل العربية: إن حروف الجر لا تتعاقب ، حتى قال ابن درستويه في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها ، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس قال أبو هلال رحمه الله: وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها ، ووقع كل واحد منهما بمعنى الآخر ، فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد ، فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني"[٢].

الثاني: أن هذا من قبيل التضمين:

وهو مذهب جمهور البصريين من النحاة[٣]. ، ويوضح ابن جني معنى هذا التضمين فيقول : " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه. وذلك كقول الله –عز

---

(١) الخصائص ٢/٣٠٨-٣٠٩، لأبي الفتح عثمان بن جني ، الطبعة: الرابعة الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) الفروق اللغوية ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم١/٢٤- ٢٥الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

(٣) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني. صـ ٤٦ ، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك٢/٣١٢

اسمه: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدي أفضيت ب"إلى" كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت ب"إلى" مع الرفث إيذانًا وإشعارًا أنه بمعناه "[١].

وقد وضع ابن هشام تعريفا موجزا للتضمين لخص فيه ما قاله ابن جني وزاد عليه أنه جعل التضمين عاما يشمل أي لفظ سواء كان اسما أو فعلا ، فقال " قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه ، ويسمى ذلك تضمينا وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين"[٢].

وقد رجح هذا المذهب كثير من النحاة " منهم أبو إسحاق الزجاج ، وابن درستويه الذي ندّد كثيرا ببطلان التناوب ، وقال:إن ذلك يؤدي إلى إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها ، وكذلك أبوبكر الزبيدي ، وأبوهلال العسكري ، وأبو البركات الأنباري الذي ناصر هذا المذهب في بعض مواطن الخلاف بين البصريين والكوفيين في كتابه مسائل الخلاف، وكذلك المرادي وغيرهم"[٣].

كما أيده كثير من المفسرين مثل الطبري والزمخشري والقرطبي وأبو حيان وأبو السعود وأبو بكر بن العربي وابن القيم الجوزية[٤].

---

(١) الخصائص ٢/٣١٠

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام ،المحقق: د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله، صـ ٨٩٧ الطبعة: السادسة، ١٩٨٥الناشر: دار الفكر – دمشق.

(٣) قضية تعاقب الحروف ومذاهب العلماء فيها، صـ ٢٤٦

(٤) ينظر:التضمين النحوي في القـــــرآن الكريم ، د/ محمد نديم فاضل١/١٢٦:١٢٤ ط:الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م ،مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع،المدينة المنورة وقضية تعاقب الحروف ومذاهب العلماء فيها، صـ ٢٤٧

المذهب الثالث: وهو التوسط بين المذهبين السابقين:

فهم لا يجيزون التضمين بإطلاق ، أو تناوب الحروف بإطلاق وإنما يقبلون تناوب الحروف عندما تتقارب معانيها ، فإذا لم تتقارب معانيها فإنهم يؤلونها على سبيل التضمين.

وممن ذهب إلى هذا ابن السراج حيث قال:" " واعلم أن العرب تتسع فيها – أي حروف الجر– فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني، فمن ذلك (الباء)، تقول: فلان بمكة وفي مكة وانما جازا معا؛ لأنك إذا قلت فلان بموضع كذا فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع ، واذا قلت في موضع كذا، فقد خبرت بفي عن احتوائه إياه وإحاطته به، فإذا تقارب الحرفان، فإن هذا التقارب يصلح لمعاقبه واذا تباين معناهما لم يجز""[(١)].

وقد ذهب إلى هذا – أيضا – ابن جني مشترطا أن يكون هناك مسوغ يسوغ التعبير بحرف جر عن آخر ، حيث قال بعد أن أورد بعض شواهد الكوفيين في تناوب الحروف :" ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا" [(٢)].

---

(١)الأصـــول في النحو، لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، المحقق: عبد الحسين الفتلي ٤١٤/١ الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.
(٢) الخصائص ٣١٠/٢

كما تبعه في ذلك البطليوسي حيث قال عن قضية تناوب الحروف : " هذا الباب أجازه قوم من النحويين، أكثرهم الكوفيون، ومنع منه قوم، أكثرهم البصريون وفي القولين جميعاً نظر" [١]. ثم ذكر شواهد من الشعر ، وجعلها من قبيل تناوب الحروف لتقارب معانيها"[٢].

وكذلك ذهب إليه ابن يعيش في شرح المفصل ، والرضي في شرح الكافية ومن المحدثين د/ فاضل السامرائي في كتابه (معاني النحو) [٣].

هذه هي المذاهب الثلاثة في تفسير ظاهرة استخدام حرف مكان آخر على خلاف الأصل ، وهذا الاختلاف لا يترتب عليه كبير عمل ؛ لأنها مذاهب تفسيرية تحاول أن تجد تخريجا لغويا جاريا على أصول العرب حتى تخرج عليه هذه الظاهرة ، لكن الأهم هو محاولة البحث وراء السبب في استخدام حرف مكان آخر ، وما هو الداعي إلى ذلك من جهة البلاغة ، وما هي المعاني التي يقصد المتكلم لفت الأذهان إليها من خلال التعبير بحرف مكان آخر ، وقد ألمح إلى هذا ابن جني في كلامه المذكور آنفا حيث بين أن هناك دواع تدعو إلى التعبير بحرف جر دون آخر ؛ لذلك كانت نظرته أقرب إلى الحس البلاغي الذي يبحث عن أسرار نظم الكلام ، والبواعث التي تدعو إلى إيثار تعبير عن آخر[٤].

وقد تبع ابن جني في نظرته هذه د / محمد الأمين الخضري حيث جعل الأهم في بحث هذه الظاهرة وخاصة فيما يتعلق بآيات القرآن الكريم هو

---

(١)الاقتضاب في شرح أدب الكتاب،لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوسي المحقق: الأستاذ مصطفى السقا – الدكتور حامد عبد المجيد٢/٢٦٤ عام النشر: ١٩٩٦ م الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٢) ينظر : المصدر نفسه ٢/٢٦٣-٢٦٤

(٣) ينظر : حروف الجر بين النيابة والتضمين ، د/أحمد مطر العطية ٢٤٩ ، ٢٥٣ وهو بحث منشور بمجلة التراث العربي، العدد (١١٢) سنة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م وهي تصدر عن اتحاد الكتاب العربي – دمشق.

(٤) ينظر: من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم.د/ محمد أمين الخضرى.صـ١٢ ط: الأولى١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.مكتبة وهبة – القاهرة.

البحث عن الأسرار البلاغية التي تظهر وجه الإعجاز للقرآن الكريم ، وتظهر مدى دقة نظمه ، وإحكام أسلوبه ، وتكاثر معانيه ، ولكي يربط بين هذه الظاهرة وبين البلاغة فإنه جعل استخدام حرف مكان آخر على خلاف الأصل جعله من قبيل خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وجعل التضمين سببا من الأسباب الداعية إلى هذا الخروج.

وفي هذا يقول :" وما أحرانا أن نعتبره [يعني التضمين] من خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فإذا خولف الظاهر في التعدي بحرف من شأن الكلمة أن لا تتعدى به ، فهذا خروج عن مقتضى ظاهر الكلام ، وعلينا أن نبحث عن دواعيه وأغراضه ، وهذا في حسباني أجدى على الدراسات البيانية ، وأنفع في الوقوف على أسرار الإعجاز في القرآن الحكيم"(١).

وهذا الرأي أظنه أقرب للصواب ، لأنه لا يلغي القول بالتضمين ، أو تناوب الحروف وإنما يجعلهما من ضمن الأسباب التي تدعو المتكلم للتعبير بحرف جر دون آخر على خلاف مقتضى الظاهر ، كما أنه لا يحوجنا إلى تأويلات متكلفة ، وتقديرات متعسفة لأفعال أو أسماء نحاول أن نجعل حروف الجر المذكورة في الكلام تتعلق بها.

وهذا الرأي هو ما ارتضيته كي أسير على هداه في هذا البحث ، حيث أحاول الوصول إلى المعاني البلاغية ، والدقائق التعبيرية التي تكمن وراء التعبير بحرف جر دون آخر سواء كان هذا التعبير على خلاف الأصل ، أو خلاف المشهور من اللغة ، وما هي الإيحاءات التي يوحي بها هذا التعبير متجنبا أي تأويل متعسف ، أو تخريج متكلف ؛ لكي أعلق حرف الجر به ، لأن المعاني التي تفهم من خلال سياقات الكلام يغنى عن هذا كله من أيسر طريق ، وأقصر سبيل.

---

(١) المصدر نفسه.صـ٥٣

المبحث الأول

من أسرار التعبير بحرف الجر (على)

الحديث الأول :

عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: سألت النبي – ﷺ – : أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها ... الحديث [١].

ففي هذا الحديث عبر النبي – ﷺ – بحرف الجر (على) دون (في) في قوله : (الصلاة على وقتها) ، والصلاة إنما تكون في الوقت ، وليس على الوقت.

والسر وراء ذلك هو إفادة الاستعلاء على الوقت والتمكن الكامل منه ، وهذا من شأنه أن يمكن المسلم أن يصلي الصلاة في أي جزء من أجزاء وقتها[٢].

وهذا المعنى اللطيف قصده النبي– ﷺ– ؛ لكي يحث المسلمين على عدم تضييع الصلاة ، وأن يصلوها في وقتها المحدد ، وأن يكونوا متحكمين فى هذا الوقت تحكم المستعلي على الشيء ، القابض على زمامه ، وبالتالي لايفلت منهم الوقت قبل أن يؤدوا فيه الصلاة المفروضة عليهم.

وهذا التعبير شبيه بقوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ [٣] ، حيث جعل المتقين وكأنهم قد استعلوا على الهدى ، وتمكنوا منه

---

(١) رواه:البخاري (٥٢٧) كتاب (مواقيت الصلاة) ،ومسلم (٨٥) كتاب (الإيمان).

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري.لابن حجر العسقلاني ١٠/٢ تصحيح: محب الدين الخطيب طبعة: ١٣٧٩هـ .الناشر: دار المعرفة – بيروت ، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني ٤٨٢/١ ، ط: السابعة ١٣٢٣هـ ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

(٣) سورة : البقرة . الآية : ٥

تمكن الراكب من مطيته ؛ مبالغة فى بيان عظيم هدايتهم بكتاب ربهم ، وتمسكهم بشرعه القويم[١].

ويبدو أن النبي – ﷺ– تأثر بالتعبير القرآني ؛ لذلك نسج على منواله في هذا الحديث.

ونلحظ أن النبى – ﷺ– عبر بالجملة الاسمية (الصلاة على وقتها) ؛ دون الفعلية (أن تصلوا) ؛ لإفادة الدوام والثبوت ، أى أن هذا العمل ينبغى أن تلازموه ، وتداوموا عليه ؛ لأنه سبيل سعادتكم وفلاحكم في الدنيا والآخرة.

الحديث الثاني :

عن أبي موسى – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ– قال: «إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نَبْلٌ، فليمسك على نِصالها بكفه، أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء»[٢].

الفعل أمسك لا يتعدى بحرف الجر (على) ، وإنما يتعدى بنفسه أو بالباء ، فتقول: أمسكت الشيء ، وأمسكت به[٣]. لكن في هذا الحديث عداه النبي – ﷺ– بحرف الجر (على) ، فقال : فليمسك على نصالها بكفه ، والنصل : هو الحديدة المدببة التي تكون في السهم والرمح[٤].

---

(١) ينظر:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،للزمخشري ٤٤/١ ط:الثالثة ١٤٠٧هـ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

(٢) رواه:البخاري (٧٠٧٥) كتاب (الفتن) ، ومسلم (٢٦١٥) كتاب (البر والصلة والآداب).

(٣) ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للفيومي ٥٧٣/٢ ط : بدون الناشر: المكتبة العلمية – بيروت

(٤) ينظر : لسان العرب .لابن منظور ٦٦٢/١١ الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ الناشر: دار صادر – بيروت.

والسر وراء هذا التعبير هو المبالغة في حفظها ، والقبض عليها قبضا يغطي كل أجزائها ، فحرف الجر (على) أفاد معنى الاستعلاء ، أى أن اليد تكون مستعلية على النصال مغطية لها ، حتى لا يبرز منها شيء قد يصيب مسلما أو يجرحه[1] .

ومع أن إمساك النصال لا يكون إلا بالكف ، وهو مفهوم من دلالة الفعل (أمسك) ، لكن مع ذلك ذكره الرسول– ﷺ– فقال: (بكفه) مبالغة – أيضا – فى حفظ هذه النصال والقبض عليها .

كما قدم الجار والمجرور (على نصالها) ؛ لأهمية حفظها ، ولأنها المقصود الأهم من وراء هذا التوجيه النبوي الشريف .

إن كل هذه الدقائق التعبيرية تدلنا بوضوح على حرص النبى – ﷺ– على عدم إيذاء المسلم بأي نوع من أنواع الإيذاء ، حتى ولو كان هذا الإيذاء غير مقصود ، كما تدلنا – أيضا – على مدى حرمة دمه حتى ولو كان بضع قطرات ، تنزف منه من إصابة نصل أتت بغير عمد من أخيه المسلم .

الحديث الثالث :

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: حدثنا رسول الله – ﷺ– وهو الصادق المصدوق " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ... إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن

(١) ينظر:شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الطيبي ، المحقق : د. عبد الحميد هنداوي ٢٤٨٨/٨ ، ط: الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م،الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة .

أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها "[١].

نلحظ في هذا الحديث أن النبي – ﷺ– عبر بحرف الجر (على) في قوله : (فيسبق عليه الكتاب) حيث عدى الفعل (يسبق) بحرف الجر (على) ، والأصل : أن يتعدى بنفسه ، أى : فيسبقه الكتاب[٢].

والكتاب هنا مقصود به قضاء الله – عز وجل – الذى قضاه على عبده ، وقدَّره عليه. وسبْق هذا الكتاب معناه غلبة هذا القضاء على العبد ، وأن هذا العبد قد يريد شيئا ولكن القضاء قد أراد شيئا آخر ، فصورهما النبى – ﷺ– وكأنهما فرسا رهان يتسابقان ؛ ليفوز كل منهما بمقصوده قبل الآخر ، ولكن القدر يسبق فيحصل مقصوده ، ويُغلَب العبد فينفذ فيه هذا القضاء. إن هذه الصورة التمثيلية الرائعة قد أخرجت هذه الأمور المجردة في صورة محسوسة بديعة تأنس بها النفس ، ويميل إليها الحس ، وهذا من شأنه أن يمكن هذا المعنى من العقل ، ويؤكده في القلب[٣].

ولكي يبين النبي – ﷺ– مدى تمكن القضاء من هذا العبد ، ومدى غلبته له فإنه عبر بحرف الجر (على) ؛ ليفيد معنى الاستعلاء ، فهذا القضاء مستعلٍ على هذا العبد ، متحكم فيه ، قابض على زمامه لذا لا يستطيع الإفلات من قبضته ، ولا التخلص من سيطرته ، فسَبْق هذا

---

(١) رواه:البخاري (٣٢٠٨) كتاب (بدء الخلق) ، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب (القدر).
(٢) ينظر : مرقاة المفاتيح ١٥٤/١
(٣) ينظر : فتح البارى ٤٨٧/١١

الكتاب ليس سبقا عاديا ، وإنما هو سبق مصحوب بقهر وغلبة واستعلاء ؛ لذلك كان من المناسب جدا التعبير بحرف الجر (على) فى هذا المقام.

ومما يدل على أن هذا السبق هو سبق غلبة واستعلاء تعبيره – ﷺ– بحرف العطف (الفاء) في (فيسبق) ، حيث أفادت التعقيب بلا مهلة أو تراخي ، فهذا القضاء وكأنه قد انقض سريعا على هذا العبد قبل أن يصل لمقصوده مع أنه كان قريبا منه ، فمنعه من هذا المقصود وغلبه عليه[١].

وقد عبر النبى – ﷺ– حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، عن قرب العبد من تحصيل مقصوده بقوله : (حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع) وهو كناية عن القرب الشديد ، وهي كناية محمولة على التشبيه ، أي بينه وبين تحصيل مقصوده كمثل ذراع يكون بين رجل وبين الوصول إلى مكان يريده ، ومع هذا القرب الشديد غلبه القضاء وسبقه ، وهذا – أيضا– دليل على استعلاء هذا القضاء على العبد ، ومدى استيلائه عليه[٢].

إن كل هذه الدقائق التعبيرية الرائعة ، والصور البيانية البديعة تؤكد على معنى واحد أن قضاء الله – عز وجل – نافذ وقدره سابق ، وأن العبد مهما حاول التملص منه أو التخلص من قبضته فلن يجد لذلك سبيلا .

الحديث الرابع :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي – ﷺ– : «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطِي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[٣].

---

(١) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٥٣٥/٢

(٢) ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي ١٩٢/١٦ الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) رواه:البخاري (٤٩٨١) كتاب (فضائل القرآن) ، ومسلم (١٥٢) كتاب (الإيمان).

ففي قوله – ﷺ– : (إلا أُعطِي ما مثله آمن عليه البشر) نجد أنه عبر بحرف الجر (على) دون (الباء) ، والأصل : آمن به البشر ؛ لأن الفعل آمن يتعدى بـ (الباء) وليس بـ (على)

والمعنى: " ليس نبي من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوته الشيء ، الذي من صفته أنه إذا شوهد اضطر المشاهد إلى الإيمان به"[١] . فالمثل هنا مقصود به عين هذه الآيات ؛ لأن " المثل يُطلق ويراد به عين الشيء وما يساويه" [٢].

إذا ما السر وراء التعبير بحرف الجر (على) ؟

ذهب كثير من شراح هذا الحديث إلى أن سر هذا التعبير أن (على) تفيد الاستعلاء والغلبة ، فأراد النبي – ﷺ– أن يصور هذه الآيات التي أعطاها الأنبياء دليلا على صدقهم ، وكأنها قد قهرت من رآها وغلبته وجعلته يؤمن بالنبي صاحب هذه الآية دونما تردد أو إحجام ؛ لأن هذه الآيات خارقة للعادة ، وليست من مقدور البشر ؛ لذلك من يراها لا يملك إلا أن يذعن لها ويسلم ، وهذا الإذعان والتسليم كأنه أتى نتيجة لقهر هذه الآيات له ، وغلبته إياه [٣].

ولكن عند التأمل الدقيق نجد أن من ذهب إلى هذا التعليل قد جانبهم الصواب ؛ لأن الضمير في قوله (عليه) ليس مقصودا به البشر حتى يكون الاستعلاء والغلبة عليهم ، فهو أولا : ضمير مفرد ولا يصح أن يراد به البشر لأن البشر اسم جمع . ثانيا : أن (عليه) جار ومجرور متعلق

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٦٣٤/١١

(٢) عمدة القاري ١٣/٢٠

(٣) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٦٣٤/١١ ، وفتح البارى ٦/٩ وعمدة القاري ١٣/٢٠ ، وإرشاد الساري ٤٤٤/٧

بالفعل (آمن) ، والبشر فاعل وهذا يعنى أن إيمان البشر هو الذى استعلى ، أما المستعلى عليه فهو ما يرجع إليه الضمير فى قوله (عليه) ، وعند التأمل نجد أن الضمير في (عليه) يرجع إلى (ما الموصولة) فى قوله (ما مثله) والمقصود بها الآيات ، وعلى هذا يكون تقدير الكلام : ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات التى مثلها آمن البشر عليها ، أى : آمن البشر بسببها .

وعلى هذا يكون مقصود النبى – ﷺ – من وراء التعبير بحرف الجر (على) هو إفادة أن هذه الآيات وكأنها قد حملت هؤلاء البشر وسارت بهم إلى الإيمان بالأنبياء والرسل ، وهذا على سبيل المبالغة فى بيان عظم هذه الآيات وقوة دلالتها على صدق الرسل ، وهذا شبيه بقوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ[1] ، فهؤلاء المتقون يصورهم القرآن الكريم وكأن الهدى هو الذى يحملهم ، وليسوا هم الذين يحملون الهدى مبالغة في بيان عظيم هداهم وقوة تقواهم .

إذا خلاصة ما سبق أن بعض شراح الحديث ذهبوا أن الاستعلاء للآيات والمستعلى عليه هو البشر ، بينما الأصوب – والله أعلم – أن المستعلى هو البشر والمستعلى عليه هو الآيات .

ونلحظ أن النبي– ﷺ– جعل الإيمان للبشر على جهة العموم مع أن أقوام الرسل لم يؤمنوا كلهم بهذه الآيات ، فقد كان منهم المعاند والجاحد. فهذا التعبير إذا من قبيل العام الذى أريد به الخاص ، أي : عبر بالعام البشر وأراد الخاص وهم المؤمنون ، وقد يكون من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته الكلية حيث عبر بكل البشر وأراد بعضهم ، وسواء كان هذا

---

(١) سورة : البقرة . الآية : ٥

أو ذاك فالمقصود من وراء هذا التعبير هو المبالغة في بيان قوة هذه الآيات ووضوح دلالتها ، حتى لكأن البشر جميعا قد آمنوا بها ، وأذعنوا لها.

الحديث الخامس :

عن جندب – رضى الله عنه – قال: سمعت النبي – ﷺ– يقول: «أنا فَرَطُكم على الحوض»[1].

يقول ابن منظور في بيان معنى (فرطكم) : " والفارط والفَرَط، بالتحريك: المتقدم إلى الماء يتقدم الواردة ، فيهيء لهم الأرسان والدلاء ويملأ الحياض ويستقي لهم، وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع؛ ومنه قول النبي – ﷺ– : أنا فرطكم على الحوض ، أي: أنا متقدمكم إليه"[2].

من كلام ابن منظور يتبين أن كلمة (فرط) و (فارط) تتعدى بحرف الجر (إلى) ؛ لأنها تفيد معنى السبق والتقدم ، فتقول : سبقتك إلى كذا ، أو تقدمتك إلى كذا ، وعلى هذا فالأصل فى حديث النبي– ﷺ– أن يكون: أنا فرطكم إلى الحوض ، وليس على الحوض.

وسبب مخالفة النبي – ﷺ– هذا الأصل هو أن يظهر للمؤمنين أنه متحكم فى هذا الحوض ، محكم قبضته عليه وهذا مفاد من حرف الجر (على) الذى يفيد الاستعلاء والتمكن ، وفي هذا طمأنة لقلوبهم ، وبث لليقين في نفوسهم أنهم لن يُمنعوا من ورده ، ولا السقيا من مائه. فما دام الحوض حوضه وزمامه بيده ، وهم أصحابه المقربون وخلصاؤه المؤثَرون

---

(١) رواه:البخاري (٦٥٨٩) كتاب (الرقاق) ، ومسلم (٢٢٨٩) كتاب (الفضائل).
(٢) لسان العرب ٣٦٦/٧

، إذا فلن يحال بينهم وبينه مهما تكاثر حوله العِطاش ، وتقاطر عليه الظِماء.

ونحظ أن النبي – ﷺ– عبر ب (فرط) بمعنى فارط ، فهو اسم فاعل ، مع أن الأصل التعبير بالفعل (أنا سأتقدمكم إلى الحوض) ؛ لأن هذا التقدم سيكون في المستقبل ، يوم القيامة. والسر وراء ذلك هو إفادة تحقق الوقوع ، فالنبى – ﷺ– أخرجه في صورة الشيء الواقع بدل إخراجه في صورة الشيء المتوقع ، وهذا فيه مزيد لطمأنة القلوب ، وتهدئة لخلجات النفوس.

كما أن التعبير بالضمير (أنا) يوحي بالثقة المطلقة من رسول الله – ﷺ– في تنفيذ ما وعدهم به ؛ فهي نبرة واثقة لا يتخللها تردد أو شك ، وهذه الثقة منبعها وثوقه بوعد ربه له ، وهذا – أيضا– من شأنه أن يملأ قلوب المؤمنين بالثقة في وعد رسول الله – ﷺ– لهم ، وما عليهم إلا أن يعملوا لهذا اليوم الموعود.

الحديث السادس :

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– ، عن النبي– ﷺ– قال: " بينما ثلاثة نفر يمشون، أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم، قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم حلبت، فبدأت بوالدي أسقيهما قبل بني... الحديث"[1].

(١) رواه:البخاري (٢٣٣٣) كتاب (المزارعة) ، ومسلم (٢٧٣٤) كتاب (الرقاق).

ففي قوله : (كنت أرعى عليهم) عبر بحرف الجر (على) والأصل : كنت أرعى الغنم لهم ، أى : من أجلهم لأنفق عليهم[١].

إن التعبير بحرف الجر (على) أوحى بكامل شفقة هذا الرجل على عياله ، ومزيد عنايته بهم ، وتحمل المشاق الكبيرة من أجلهم ، فهو يصور هذا الرجل وكأنه قد استعلى على عياله استعلاء حفظ ورعاية فكأنه كطير حنون ينشر أجنحته على أفراخه الصغار ؛ لكي يحميهم من الكواسر والعوادي ، أو كخيمة سابغة تحمى من يستظل بظلها ، ويتدثر بدثارها.

كما حسن حذف المفعول به (الغنم) للفعل (أرعى) حيث صور هذا الحذف وكأن الرعى للعيال وليس الغنم ، وهذا إيحاء جميل ، وإيماء لطيف يظهر مدى شفقة هذا الرجل على أولاده ، ومدى محبته لهم.

والنبي – ﷺ– ما قصد هذا المعاني البديعة إلا ليبين مدى بر هذا الرجل بوالديه ، ومدى رحمته بهما. فمع كل هذا الحب لأولاده الصغار ، والعناية الكاملة بهم ، والسعي الحثيث من أجلهم إلا أنه يقدم والديه عليهم فى المأكل والمشرب ، وفي كل ما يحتاجانه من مقومات الحياة ، وهذا دليل على البر الكامل ، والإحسان التام والذى كان سببا في نجاته من محنته ، والخلاص من كربته.

الحديث السابع :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ– : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» ثم يقول: اقرءوا: {فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم}[٢] [٣].

معنى الفطرة هو : " أن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق ، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات ، فما دامت باقية

---

(١) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣١٦٩/١٠ ، وإرشاد الساري ٥/٩
(٢) سورة : الروم. آية : ٣٠
(٣) رواه:البخاري (١٣٥٨) كتاب (الجنائز) ، ومسلم (٢٢) كتاب (القدر).

على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ، ودين الإسلام هو الدين الحق"[١].

وقد عبر النبي- ﷺ- بحرف الجر (على) دون (الباء) ، والأصل أن يولد هذا المولود بالفطرة ، وليس على الفطرة ؛ لأن هذه الفطرة ليست مستقلة عنه حتى يكون فوقها ، وإنما هى متغلغلة في نفسه ، ملتصقة بقلبه وعقله ؛ لذلك كان الأصل هو التعبير بحرف الجر (الباء) الذي يفيد الإلصاق.

والسر وراء التعبير بحرف الجر (على) هو المبالغة في بيان تمكن البشر من هذه الفطرة ، تمكن المستعلي على الشيء المتحكم فيه ، ولذلك لو أحسنوا قيادها قادتهم إلى الإيمان بالدين الحق ، ولو فعلوا غير ذلك فخالفوا فطرتهم السليمة لقادهم ذلك إلى الشرك والكفر.

وقد بين هذا المعنى ابن عاشور وهو يفسر قوله تعالى : {فطرة الله التي فطر الناس عليها }[٢] ، حيث قال : " فطر الناس عليها: أي جبل الناس وخلقهم عليها، أي متمكنين منها. فحرف الاستعلاء مستعار ؛ لتمكن ملابسة الصفة بالموصوف تمكنا يشبه تمكن المعتلي على شيء، وقد تقدم نظيره في قوله تعالى: أولئك على هدى من ربهم في [سورة البقرة – ٥] ، وحقيقة المعنى: التي فطر الناس بها"[٣].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرون ٦/٦٧٦ ط: الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م الناشر: (دار ابن كثير – دار الكلم الطيب) دمشق – بيروت.

(٢) سورة : الروم. آية : ٣٠

(٣) التحرير والتنوير ، للشيخ / محمد الطـــــاهر بن عاشور٢١/٩٠ سنة النشر: ١٩٨٤ هـ. الدار التونسية للنشر – تونس.

ولكي يؤكد النبي هذه الحقيقة ، حقيقة تمكن البشر من هذه الفطرة فإنه أخرج كلامه فى صورة النفي والاستثناء (ما من مولود إلا يولد على الفطرة) ، كما زاد هذه الحقيقة تأكيدا بالتعبير بـ (من) ، كل ذلك ليدل على مدى تمكن البشر من هذه الفطرة ، ومدى تحققهم بها .

وكما هو واضح فإن تعبير النبي – ﷺ– بحرف الجر (على) جاء تأثرا منه بتعبير القرآن الكريم في قوله: {فطرة الله التي فطر الناس عليها } ، وهذا مما يدل على مدى أثر بلاغة القرآن الكريم في بلاغة الرسول ﷺ .

الحديث الثامن :

عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – قال: سألت رسول الله– ﷺ– فقلت: إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب، فقال: «إذا أرسلت كلابك المُعَلَّمَةَ ، وذكرت اسم الله، فكل مما أمسكن عليك، إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه، وإن خالطها كلب من غيرها فلا تأكل»[1].

ورد في هذا الحديث موضعان للتعبير بحرف الجر (على) وهما : (فكل مما أمسكن عليك) ، (إنما أمسك على نفسه). والأصل في هذا التعبير أن يكون بحرف الجر (اللام) ، فتقول : أمسك لك ، وأمسك لنفسه ، أى أن هذا الكلب إما أن يمسك الصيد لصاحبه ، أو يمسكه لنفسه .

(١) رواه:البخاري (٥٤٨٧) كتاب (الصيد والذبائح) ، ومسلم (١٩٢٩) كتاب (الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان).

وقد ورد هذا التعبير في القرآن الكريم في قوله تعالى : چ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ چ[١] ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الاستعلاء المقصود بحرف الجر (على) هو استعلاء مجازي وليس حقيقي[٢] .

والسر وراء التعبير بحرف الجر (على) هو المبالغة في بيان تمكن هذا الكلب من الصيد ، واستحواذه عليه وأنه من خلال هذا التمكن والسيطرة يستطيع أن يمسك الصيد لصاحبه إن أراد ، أو يمسكه لنفسه فيأكل منه. فحرف الجر (على) صور الكلب وكأنه حامل الصيد بين يديه ، واقف به إما على رأس صاحبه ، وإما على رأسه ، وهي صورة جميلة موحية تظهر هذا الكلب بمظهر المتمكن من فريسته ، المسيطر عليها ، ثم بعد ذلك يقرر إما أن يمنحه لصاحبه فيكون له حلالا، أو يستأثر بها دون هذا الصاحب فيكون عليه حراما .

الحديث التاسع :

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ– لما بعث معاذا إلى اليمن، قال: " إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . . . الحديث"[٣] .

الفعل (رد) في اللغة العربية يتعدى بحرف الجر (إلى) وهو الأكثر ، وقد يتعدى بحرف الجر (على) فتقول : رددت إليه ماله ، أو رددت عليه ماله[٤] .

---

(١) سورة : المائدة . الآية : ٤
(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، تحقيق:الدكتور أحمد محمد الخراط ٢٠٤/٤ ، ط: بدون ، الناشر: دار القلم، دمشق .
(٣) رواه:البخاري (١٣٩٥) كتاب (الزكاة) ، ومسلم (١٩) كتاب (الإيمان) .
(٤) ينظر : لسان العرب ١٧٣/٣ ، والمصباح المنير ٢٢٤/١

لكن النبي – ﷺ– اختار فى هذا الحديث أن يعدى الفعل (رد) بحرف الجر (على) دون (إلى) ، فقال : (تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) ، والسر وراء ذلك أن حرف الجر (على) يلمح إلى معنى الشمول والاستغراق ، وهذا مفاد بالطبع من المعنى الحقيقى لحرف الجر (على) وهو الاستعلاء ، فالنبي – ﷺ– أراد أن يصور هذه الزكاة وكأنها قد علت هؤلاء الفقراء فغطتهم ، وحمتهم من لوعة الفقر ومرارة الحرمان ، وكأن هذه الصدقة خيمة عالية البنيان ضافية الأطراف ، وهؤلاء الفقراء قد استظلوا بها لكى تحميهم من حرارة الفقر ، ومضاضة الجوع ، وهذه إشارة من النبي – ﷺ– أن تكون هذه الصدقة مستوعبة لكل احتياجات الفقير شاملة لكل ضروريات حياته ، حتى تحفظ ماء وجه من ذل السؤال ، وتحفظ كرامته من مرارة الامتهان .

ثم كان التعبير بحرف العطف الفاء (فترد) ؛ لإفادة التعقيب بلا مهلة ، فبمجرد أخذ الزكاة من الأغنياء يجب ردها فورا على الفقراء ؛ لشدة تطلعهم لها ، وبالغ احتياجهم إليها .

وقد اقتصر النبي – ﷺ– على الفقراء دون غيرهم ممن يستحقون الصدقة ؛ لأنهم هم الصنف الأغلب فى المجتمع دون باقي المستحقين للزكاة ، كما أن ذكر الفقراء كان للمطابقة مع الأغنياء ، وبذلك يلتئم الكلام ، ويحسن وقعه فى القلوب ، ويطيب أثره في النفوس[1] .

وقد أضاف النبي – ﷺ– الأغنياء والفقراء إلى ضمير الجمع (هم) المراد به أهل اليمن ؛ لبيان أنهم كلهم بنى جنس واحد ووطن واحد ، ويجرى فى عروقهم دم واحد ، وهذا مما يجعل الأغنياء يعلمون أن هؤلاء

---

(١) ينظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني ١٦٧/٧ طبعة ثانية: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان .

الفقراء هم إخوانهم ومن بنى جلدتهم؛ لذلك لابد من المسارعة لإعانتهم ، والتصدق عليهم حتى يحموهم من غائلة الفقر ، ومقتلة الجوع.

المبحث الثاني

من أسرار التعبير بحرف الجر (في)

الحديث الأول :

عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أن هلالا بن أمية قذف امرأته عند النبي – ﷺ– بشريك ابن سحماء، فقال النبى – ﷺ– : «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا، ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك» فذكر حديث اللعان[1].

فى هذا الحديث النبوى الشريف نجد أن النبى – ﷺ– قال لهلال بن أمية عندما قذف امرأته بالزنا : (البينة أو حد فى ظهرك) ومن المعروف أن الحد يكون على الظهر وليس فى الظهر ، فحد القذف – كما هو معروف – ثمانون جلدة ، وهذا الجلد يكون بالسياط على الظهر ، ولكن النبى – ﷺ– عبر بحرف الجر (فى) دون (على) مع أنه الأصل .

يقول الإمام العينى : " وكلمة في بمعنى على أي على ظهرك ، كما في قوله تعالى: {ولأصلبنكم في جذوع النخل} أي عليها[2].

والتعبير بحرف الجر (في) دون (على) كثير في اللغة العربية وذلك لتقارب معنى هذين الحرفين وتداخلهما.

---

(١) رواه:البخاري (٢٦٧١) كتاب (الشهادات). وأبو داود (٢٢٥٤) كتاب (الطلاق)

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري.بدر الدين العينى ٢٥٠/١٣ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

يقول البطليوسي :" (في) و (على) يتداخل معنياهما في بعض المواضع، فلذلك يقع بعضهما موقع بعض "[١].

أما السر وراء هذا التعبير فهو تبشيع هذا الحد ، وبيان مدى الآلام التى ستصيب هلال ابن أمية لو وقع به هذا الحد ، فإن هذه السياط لن تقع على ظهره فقط ، وإنما ستنغرس فى ظهره ، وتنفذ فى جلده وكأنها أشبه بسيوف قاطعة ، وأسنة رماح نافذة ، فهذه الصورة البشعة لهذا الحد ما رسمت فى أذهاننا على هذا النحو إلا من التعبير بحرف الجر(فى) دون (على) .

كما أن التعبير بحرف الجر (فى) يتناسب تمام المناسبة مع كلمة (حد) فهذه الكلمة من معانيها التى استقرت فى عقولنا ، معنى القطع والنفاذ وهذا مستوحى من قولنا : حد السيف ، وحد السكين ، لذلك عندما نسمع (حد فى ظهرك) يخيل إلينا وكأنها سكين مغروسة فى ظهره ، راشقة فى جلده ، ولو قال (حد على ظهرك) ما تأدى هذا المعنى ، ولا رسمت له هذه الظلال فى عقولنا .

هذا بالإضافة إلى أن حرف الجر (فى) يفيد التمكن ، فهذه السياط تتمكن من ظهره تمكن المظروف من الظرف حيث استقر داخله ، وتمكن منه ، فهى سياط جمعت بين النفاذ والتمكن ، بين القطع والاستقرار، وهذا لا شك أبلغ فى بيان قوة هذه السياط ، وبشاعة الضرب بها .

والنبى – ﷺ– قصد كل هذه الإيحاءات ؛ لكى يكون زجرا لهلال ابن أمية ، وتخويفا له حتى لايقدم على قذف امرأته بدون بينة ، صيانة لعرضها ، وتحوطا لشرفها ، فالأعراض ليست مضغة فى أفواه الناس ، أو

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٢٨٢/٢

فاكهة يتفكهون بها فى المجالس ، وإنما هى أمر خطير لذلك قبل الإقدام على قذف عرض محصنة لابد من بينة أوضح من الشمس ، وأبين من ضوء القمر وإلا سيكون هناك سياط تلهب الظهور ، بل تنفذ فيها حتى لا يتجرأ أحد على الوقوع فى هذا الذنب الخطير .

كما أن التنكير فى قوله (حد) للتعظيم ؛ لكى يكون أبلغ فى الزجر والتخويف .

ويبدو أن النبى – ﷺ– تأثر فى تعبيره هذا بقوله تعالى : چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ الآية چ[1]

حيث عبر النظم الكريم بحرف الجر (فى) دون (على) ، والأصل : ولأصلبنكم على جذوع النخل .

والغرض من وراء هذا فى النظم الكريم – أيضا – هو بيان تمكن جذوع النخل من هؤلاء المصلوبين أيما تمكن ، حتى لكأنهم من شدة هذا التمكن قد صلبوا فى الجذوع ، وليس على الجذوع. وفى هذا تبشيع للصلب ، وبيان لفظاعته ، وذلك لكى يخوف فرعون السحرة من هذا المصير المؤلم ، إن استمروا فى إيمانهم برب موسى وهارون ، ولم يعودوا إلى الإيمان بألوهيته المزعومة ، وربوبيته المكذوبة [2].

ومن بلاغة النبى العالية أنه صاغ هذه الجملة بهذه الطريقة (البينة وإلا حد فى ظهرك) بدل (أحضر البينة وإن لا تحضرها فجزاؤك حدّ في ظهرك) [3]. ، فهذا الإيجاز أظهر النبى – ﷺ– فى صورة الحاسم الذى

---

(١) سورة : طه . الآية : ٧١

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .للإمام البقاعي ٣١٢/١٢ ط: بدون الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

(٣) ينظر : شواهد التوضيح والتصـــــــحيح لمشكلات الجامع الصحيح.جمال الدين بن مالك الأندلسى.المحقق: الدكتور طه محسن ١٩٤/١ ط: الأولى، ١٤٠٥ هـ

يلقى الحكم بصورة واضحة لا لبس فيها ، حاسمة لا تردد فيها ، موجزة لا إطناب فيها ، وهذا كله يتناسب مع خطورة المشكلة المعروضة عليه والتى تتطلب الحسم والقطع ، حتى لا يتجرأ أحد على قذف عرض أى أحد من الناس ، حتى ولو كانت زوجته ما لم يكن هناك بينة واضحة ، ودليل ظاهر .

الحديث الثانى :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي – ﷺ– قال: " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "[١] .

من المعروف أن الفعل (عاد) بمعنى : رجع يتعدى بحرف الجر إلى وليس على[٢] ، ولكن الرسول – ﷺ– فى قوله : وأن يكره أن يعود فى الكفر خالف هذا الأصل ، فعبر بحرف الجر (فى) دون (على) .

وقد بين ابن حجر سبب ذلك ، فقال : " فإن قيل فلم عدى العود بفي ولم يعده بإلى ، فالجواب أنه ضمنه معنى الاستقرار ، وكأنه قال يستقر فيه ، ومثله قوله تعالى: وما كان لنا أن نعود فيها[٣] "[٤] .

الناشر: مكتبة ابن تيمية .

(١) رواه: البخـــــاري (١٦) كتاب (الإيمان) . ومسلم (٦٧) كتاب (الإيمان)
(٢) ينظر : لســـــان العرب .لابن منظور ٣١٥/٣
(٣) سورة :الأعراف . الآية : ٨٩
(٤) فتح البارى ٦٢/١

وكلام ابن حجر صحيح غاية الصحة ، ولكنه يحتاج إلى بعض من التفصيل ، فالنبى – ﷺ– أراد أن يوضح أن الكفر وكأنه ظرف قد استقر فيه مظروفه ، وهو الراجع إليه ، وأن من يرجع إليه كأنما يغوص فى أعماقه ، وينغرس فى أحشائه حتى يستولى عليه ، ويسد عليه مدارك الفكر ، ومسالك النظر حتى لا يجد دونه اهتداء ، ولا للخروج منه سبيلا ، فهو أشبه بظلمات كثيفة ، أو سدود سميكة ، وهذا مصداق قوله تعالى : چ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ چ[1] إذا التعبير بحرف الجر (فى) هنا أشار إلى خطورة الكفر ، وفداحة الرجوع إليه ، وأن من يرجع إليه سينغرس في ظلماته ، ولن يخرج منه إلا إلى النار، والعياذ بالله.

كما أن التعبير بحرف الجر (فى) مقصود به أن يتناسب مع حرف الجر (فى) فى قوله : كما يكره أن يقذف فى النار ، وهكذا يتماسك الكلام ، وتترابط أجزاؤه ، هذا بالإضافة إلى أن هذا التعبير جعل الكفر يشبه النار فى أن كليهما كأنهما ظرف يحيط بصاحبه من كل مكان ، وهذا لا شك أبلغ فى الزجر والتخويف من الرجوع إلى الكفر .

ثم جاء التشبيه (كما يكره أن يقذف فى النار) فى غاية البلاغة ؛ لكى يكون أشد تخويفا ، وأبلغ زجرا . وهل هناك كراهية أشد من كراهية أن يقذف إنسان فى نار متأججة تلفح وجهه ، وتحرق جسده؟!

ومع أن التشبيه مقصود به فى الأساس المبالغة فى كراهية الرجوع إلى الكفر إلا أن اختيار النبى – ﷺ– القذف فى النار دون غيرها من كل ما يهلك الإنسان إذا قُذف فيه ، فهذا الاختيار أوحى من طرف خفى إلى أن الكفر كأنه هو النار ، يعنى: طريقا ممهدا ، وسبيلا معبدا إلى دخولها.

---

(١) سورة : يس . الآية : ٩

ويبدو – أيضا – فى هذا الأسلوب أن الرسول – ﷺ– قد اقتبسه من القرآن الكريم ؛ لأن هناك أكثر من آية ورد فيها التعبير بحرف الجر (فى) بدل (إلى) لبيان معنى التمكن والاستقرار ، خاصة فيما يتعلق بالرجوع إلى الكفر بعد الخروج منه ، فمن ذلك قوله تعالى: چ ب ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چ[١] ، وقوله : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى چ[٢] إلى غير ذلك من الآيات [٣].

الحديث الثالث :

عن أبي موسى الأشعرى – رضى الله عنه– عن النبي – ﷺ– قال: " تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّيًا من الإبل في عُقُلِهَا"[٤].

معنى (أشد تفصيا) : أى أشد تفلتا وخروجا ، وهو يتعدى بحرف الجر (من) ، فيقال: تفصَّى من الشىء ، أى: تخلص وتفلت ، وتفصت الإبل من عُقلها ، أى : تفلتت من حبالها ، فالعُقُل : جمع عِقال ، وهو الحبل[٥].

ولكن النبى– ﷺ– عبر بحرف الجر (فى) دون (من) فقال : فى عقلها ، والأصل : من عقلها[٦] .

---

(١) سورة : الأعراف ٠ الآية : ٨٨
(٢) سورة : الكهف ٠ الآية : ٢٠
(٣) ينظر: من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم ٠صـ١٢٧
(٤) رواه: البخاري (٥٠٣٣) كتاب (فضائل القرآن) ٠ ومسلم (٧٩١) كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)
(٥) ينظر : لسان العرب ١٥٦/١٥
(٦) ينظر : عمدة القارى ٤٩/٢٠

والسر وراء ذلك هو المبالغة فى تفلت هذه الإبل من عقلها ، ومدى إصرارها على أن تتخلص من قيودها إلى درجة أنها قد قطعت هذه القيود التى تشدها إلى الأرض ، وهناك فرق كبير فى المعنى بين أن تنفك الإبل من العقال وتتخلص منه وهو لا يزال على حاله ، وبين أن تقطعه فتنفلت وعليه بقايا منه ، لاشك أن الثانى أقوى وأبلغ فى بيان قوة هذه الإبل وعنفوانها ، وبالتالى قوة تفلتها ، وشدة تفصيها[1].

ومما يدل على هذا المعنى أن هناك رواة رووا هذا الحديث بحرف الجر الباء (بعقلها) ، يعنى : تفلتت بالعقال ، ولكن الرواية الأولى أشهر وأصوب كما قرره علماء الحديث[2].

إذا التعبير بحرف الجر (فى) أومأ إلى هذا المعنى اللطيف ، ودل على هذه المبالغة الرائعة ، والتى قصدها الرسول – ﷺ – ؛ لكى يبين شدة تفلت القرآن من الصدور ، وسرعة تفصيه من العقول حتى إنه لأشد تفصيا من هذه الإبل القوية ، التى تنزع عقلها وتتفلت بها ، بل وأكد النبى – ﷺ – هذا المعنى بالقسم (والذى نفسى بيده) وباللام (لهو أشد تفصيا) ؛ لكى يحمل كل مسلم على أن يكون أشد حرصا على تعاهد القرآن باستظهاره وتلاوته حتى لا يتفلت منه ، ويذهب أدراج الرياح.

وهناك معنى لطيف آخر أوحى به التعبير بحرف الجر (فى) وهو تصوير هذه العُقل وكأنها قد شملت الإبل ، واستحوذت عليها استحواذا

---

(١) ينظر : فتح البارى ٨٢/٩ – ٨٣

(٢) ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم.للقاضى عياض اليحصبى.تحقيق/ يحيى إسماعيل ١٥٥/٣ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

كاملا كاستحواذ المظروف لظرفه الواقع فيه ، فالإبل كأنها داخل العقل ، ومع ذلك استطاعت التفلت منها والهرب من قبضتها ، ولاشك أن هذا المعنى اللطيف لن يتأتى لو كان التعبير على الأصل (من عقلها) .

الحديث الرابع :

عن عمران بن حصين، عن النبي – ﷺ – ، قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[1] .

ففى قوله : (اطلعت فى الجنة) عبر بحرف الجر (فى) دون (على) لأن الاطلاع يكون على الشىء ، وليس فيه .

يقول الشيخ على القاري : " (اطلعت في الجنة ") أي أشرفت عليها لقوله تعالى: {لو اطلعت عليهم} [الكهف: ١٨] ، ففي بمعنى " على " كقوله تعالى: {ولأصلبنكم في جذوع النخل} [طه: ٧١] ، وحاصله نظرت إليها ، أو أوقعت الاطلاع فيها"[2] .

إن التعبير بحرف الجر (فى) هنا أشار إلى إن إطلاع النبى – ﷺ – على الجنة لم يكن مجرد إشراف عليها ، أو نظرة عابرة ألقاها عندما نظر إليها ، بل هو اطلاع فيه تأمل لما فيها ، وتفحص دقيق لما تحتوى عليه ، فهو اطلاع قد تغلغل فيها ، ونفذ إلى داخلها ، وليس اطلاعا يقنع بالمظهر دون الجوهر ، ويقف عند الخارج دون النفاذ إلى الداخل .

---

(١) رواه: البخاري (٣٢٤١) كتاب (بدء الخلق) ، ومسلم (٢٧٣٧) كتاب (الرقاق)

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح .للشيخ:على القاري ٨/ ٣٢٧٥ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م . الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان .

والنبى – ﷺ– سلك هذا المسلك ؛ لأنه يتحدث عن شىء غيبي لم تدركه الأبصار وهو رؤيته للفقراء الذين كثروا في الجنة ، والنساء الذين كثروا فى النار ، والقضايا الغيبية دائما ما تحتاج إلى ما يؤكدها ، ويدلل على وجودها ، لذلك كان التعبير بحرف الجر (فى) مؤكدا لهذه الحقيقة ، ومرسخا لها فى العقول ؛ لأنه أفاد أن النبى – ﷺ– ينقل لكم أيها المؤمنون ما أدركه تمام الإدراك ، واطلع عليه تمام الاطلاع ، وما عليكم إذا إلا أن تتيقنوا بقوله ، وتثقوا تمام الثقة بخبره .

وقد ورد مثل هذا التعبير فى قوله تعالى چڑ ک ک ک چ[1] فالنظر مثله مثل الاطلاع يتعدى بحرف الجر (إلى) ، ولكن عبر القرآن الكريم بحرف الجر (فى) ؛ لكى يبين أنه نظر تأمل وإدراك ، فهو نظر سيدنا إبراهيم – عليه السلام – الباحث عن الحقيقة ، المتطلع لها .

وقد قرر الراغب الأصفهانى حقيقة الفرق بين نظرت إلى ، ونظرت فى فقال : " نظرت إلى كذا: إذا مددت طرفك إليه رأيته أو لم تره، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبرته"[2] .

ولعل تعبير النبى – ﷺ– بحرف الجر (فى) دون (على) فى هذا الحديث جاء – أيضا – تأثرا بهذه الآية ، ونسجا على منوالها ، والله أعلم .

---

(١) سورة : الصافات . الآية : ٨٨

(٢)المفردات في غريب القرآن .للراغب الأصفهانى .تحقيق: صفوان الداودي .صـ ٨١٢ الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت .

الحديث الخامس :

عن ابن عباس، عن رسول الله – ﷺ– قال: «العائد في هبته، كالكلب يقيء، ثم يعود في قيئه»(١).

فى هذا الحديث تعدى الفعل عاد بحرف الجر (فى) فى قوله : (العائد فى هبته) ، و(يعود فى قيئه) ، والتعدى فى الجملة الأولى على حقيقته ؛ لأن من أراد الرجوع عما التزمه أو قاله– مثل الهبة – يصح أن يقال فيه: عاد فى قوله ، أو إلى قوله ، أو عاد لقوله ، وذلك مثل قوله تعالى : چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ... الآية چ(٢).

وقد قرر ذلك الإمام الفراء عند تفسيره لهذه الآية فقال: " ثم يعودون لما قالوا: يصلح فيها فى العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قالوا. يريد: يرجعون عما قالوا"(٣).

أما التعدى بحرف الجر (فى) فى قوله (يعود فى قيئه) ليس على الأصل ؛ لأنه ليس عودا فى القول كالأول ، وإنما الأصل : أن يعود إلى قيئه ؛ لكى يأكله بعد أن قاءه ، ومما يؤكد على هذا دلالة حرف العطف (ثم) الذى يفيد التراخى ، أى أن الكلب قاء ثم بعد فترة عاد إلى هذا القيء لكى يأكله مرة أخرى .

---

(١) رواه: البخاري (٢٥٨٩) كتاب (الهبة وفضلها والتحريض عليها) ، ومسلم (١٦٢٢) كتاب (الهبات)

(٢) سورة : المجادلة . الآية : ٣

(٣) معاني القرآن . للإمام الفراء .تحقيق: أحمد يوسف نجاتى وآخرون٣/١٣٩ الطبعة: الأولى ، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر .

وقد عبر النبى – ﷺ– بهذا التعبير ؛ ليبين مدى حرص هذا الكلب أن يأكل هذا القىء ، وأن يسترجعه كله إلى جوفه حتى لايترك منه شيئا ، إلى درجة أنه من هذا الحرص لم يعد إلى قيئه فحسب ، بل عاد إليه ودخل فيه لكى يأتى عليه كله ظاهرا وباطنا ، فهذا التعبير صور الكلب وكأنه قد نفذ إلى داخل هذا القىء ، وليس القىء هو الذى نفذ إلى داخله .

وقد قصد النبى – ﷺ– من وراء هذه المبالغة تبشيع حال هذا الكلب ، وبيان مدى قذارته التى قادته إلى هذا الفعل المستهجن القبيح ، وعندئذ تظهر بشاعة من رجع فى هبته ، والذى يشبه حاله حال هذا الكلب .

كما أن التعبير بحرف الجر (فى) بدل (إلى) ؛ مقصود به أن يتناسب مع حرف الجر (فى) فى قوله: (العائد فى هبته) وبهذا تتلاءم أطراف الكلام ، ويتناسب مبدؤه مع منتهاه ، فعَوْد الرجل فى هبته يساوى عَوْد الكلب فى قيئه ، ولو قال (يعود إلى قيئه) لما تزاوجت الجملتان بهذا الشكل البديع الرائع .

المبحث الثالث

من أسرار التعبير بحرفي الجر (من) و (إلى)

أولا : التعبير بحرف الجر (من) ٠

الحديث الأول :

عن علي بن حسين، أن النبي – ﷺ– أتته صفية بنت حيي فلما رجعت انطلق معها، فمر به رجلان من الأنصار فدعاهما، فقال: «إنما هي صفية»، قالا: سبحان الله، قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[(١)] ٠

نلحظ في قوله – ﷺ– : (الشيطان يجري من ابن آدم) أنه عبر بحرف الجر (من) دون (في) ، فجريان الشيطان إنما يكون في داخل الإنسان بدليل تشبيه النبي – ﷺ– لهذا الجريان بجريان الدم ، والدم يجري فى العروق ، وكذلك الشيطان يجري في الإنسان ٠

والسر وراء هذا التعبير هو الإشارة إلى معنى التمكن[(٢)] ، لأن التمكن يتعدى بحرف الجر (من) ، فيقال : تمكن منه للدلالة على السيطرة الكاملة عليه ، لذلك أراد النبي – ﷺ– أن يظهر مدى تمكن الشيطان من الإنسان ، ومدى سيطرته عليه ، فكان التعبير بالجريان مفيدا نفاذ الشيطان إلى داخل الإنسان وامتزاجه به امتزاج الدم بالعروق ، والتعبير بحرف الجر (من) ؛ لإفادة التمكن الكامل ، والسيطرة التامة عليه ، فهما معنيان مستقلان أدمجا في جملة واحدة ، وهذا يعد من الإيجاز البليغ الذي

---

(١) رواه:البخاري (٧١٧١) كتاب (الأحكام) ، ومسلم (٢١٧٥) كتاب (السلام) ٠
(٢) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٥٢١/٢

يكثف المعنى ، ويركزه في كلمات قلائل ، وهذا نمط من البلاغة عال لا يقدر عليه إلا من امتلكوا ناصية البيان مثل رسول الله ﷺ .

ولتأكيد هذا التمكن عبر النبي – ﷺ– بـ (الشيطان) دون وسوسته على سبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية ، لأن الشيطان هو سبب الوسوسة التي تصل إلى الإنسان وتسرى فى قلبه سريان الدم[1] .

فهذا المجاز البليغ صور وكأن الشيطان بذاته هو الذي نفذ إلى داخل الإنسان حتى اختلط بعروقه ودمه ، وهي صورة رائعة موحية تدل دلالة كبيرة على سيطرة الشيطان على الإنسان وتمكنه منه .

كما أن تشبيه جريان الشيطان بجريان الدم مما أكد – أيضا – على مدى تمكن الشيطان من ابن آدم ، فالدم هو قوام حياة الإنسان ، كما أنه يصل إلى كل جزء من أجزاء البدن ، فكان التشبيه به في غاية الدقة ، وكمال الروعة لتصوير هذا التمكن ، ورسم ملامح هذه السيطرة .

ونلحظ أن النبي – ﷺ– جعل جريان الشيطان في كل بني آدم مع أن هناك أناسا معصومين من هذا مثل الأنبياء والرسل ، وهناك من صالحي البشر من لا يقدر عليهم الشيطان بوسوسته وكيده ، وقد قصد النبي – ﷺ– هذا لكي يبالغ في تحذير الناس من هذه الوسوسة ، ويؤكد على اتخاذ الحيطة من هذا الكيد ، فعندما يتصور الناس وكأن الشيطان قد استولى على جميع البشر وليس على فئة منهم ، عندها يعلمون أن أمره خطير وشره مستطير ، وأن عليهم أن يستعدوا لمناجزته ، ويتهيأوا لمصاولته حتى يدفعوا شره ، ويردوا كيده .

---

(١) ينظر : التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، لسراج الدين ابن الملقن ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ٦٥٣/١٣ ط: الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨ م الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا .

إن كل هذه الدقائق التعبيرية الرائعة تؤكد مضمون التعبير بحرف الجر (من) وهو إظهار تمكن الشيطان من الإنسان ، ومدى سيطرته عليه.

الحديث الثاني :

عن سعيد بن زيد – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ- : «الْكَمْأَةُ من الْمَنِّ ، وماؤها شفاء للعين»[(١)].

الكمأة هي : " نبات لا ورق لها ولا ساق ، توجد في الأرض من غير أن تزرع ، قيل: سميت بذلك لاستتارها ، يقال: كمأ الشهادة إذا كتمها"[(٢)].

والمن : "هو- على أرجح الأقوال- مادة صمغية تسقط على الشجر تشبه حلاوته حلاوة العسل"[(٣)]. وقد أنزله الله – عز وجل- على بني إسرائيل وهم في التيه كما قال تعالى : چۆ ۈ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ □ ... الآيةچ[(٤)].

والنبي – ﷺ- أراد تشبيه الكمأة بالمن ، " قال أبو عبيد : يقال إنما شبهها بالمن الذي كان يسقط علي بني إسرائيل ؛ لأن ذلك كان ينزل عليهم عفوا بلا علاج منهم، إنما كانوا يصبحون وهو بأفنيتهم فيتناولونه، وكذلك الكمأة ليس على أحد منها مؤونة في بذر ولا سقي ولا غيره، وإنما هو شيء ينشئه الله – عز وجل- في الأرض حتى يصير إلى من يجتنيه"[(٥)].

---

(١) رواه:البخاري (٤٤٧٨) كتاب (تفسير القرآن)، ومسلم (٢٠٤٩) كتاب (الأشربة).
(٢)١٠/١٦٣ فتح البارى
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، المؤلف: محمد سيد طنطاوي ١/١٣٨ الطبعة: الأولى، يناير ١٩٩٧ ، الناشر: دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة.
(٤) سورة : البقرة . آية : ٥٧
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم٣/١١٨

والأصل في التشبيه أن يكون بإحدى أدوات التشبيه كالكاف أو كأن أو غيرهما ، فنقول : الكمأة كالمن ، أو كأنها المن ، ولكن النبي – ﷺ– عدل عن هذا فعبر بحرف الجر(من)٠

والمقصود من وراء هذا التعبير هو إظهار نعمة الله – عز وجل – في خلق الكمأة ، ومدى تفضله عليهم بها ، ومنحهم إياها بلا كلفة أو تعب. فالتعبير بحرف الجر (من) أظهر وكأن هذه الكمأة جزء من أجزاء المن ، وبعض من أبعاضه. فعندما يستحضر المتلقي المن وما فيه من تفضل الله – عز وجل – على بني إسرائيل بإنزاله عليهم غضا طريا بلا مشقة أو تعب ، وهم في صحراء التيه ، ثم يستشعر أن الكمأة كأنها جزء لا يتجزأ من هذا المن عندها يشعر بمدى نعمة الله – عز وجل – في خلق هذه الكمأة ، ويستشعر فضله بما أودع فيها من فوائد ومنافع٠

كما أن هذا التعبير فيه إغراء لكل مخاطب بأن يستخدم هذه الكمأة ، وينتفع بها ، كما انتفع بنو إسرائيل من قبل بالمن. فهما كأنهما شيء واحد نسجتهما يد القدرة الإلهية ، وأبدعتهما على هذا النحو الممتع المفيد٠

الحديث الثالث :

كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ– كان، إذا فرغ من الصلاة وسلم، قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »[1]٠

عبر النبي – ﷺ– بحرف الجر (من) في قوله : ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، مع أن الأصل عدم التعبير بها ؛ لأن الفعل (ينفع) لا يتعدى بمن

(١) رواه:البخاري (٨٤٤) كتاب (الأذان)، ومسلم (٥٩٣) كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)٠

، وإنما يتعدى بنفسه. والأصل : لا ينفع صاحبَ الغنى غناه ؛ لأن الْجَدِّ : هو الغنى أو الحظ[١].

والسبب وراء هذا التعبير هو تضمين معنى المنع في دعائه – ﷺ– ، ويكون المعنى ولا يمنع صاحب الغنى منك غناه ، أى : لا يمنعه من ضر كتبته عليه.

" قال ابن دقيق العيد : قوله منك يجب أن يتعلق بينفع، وينبغي أن يكون ينفع قد ضمن معنى يمنع وما قاربه"[٢].

والنبي – ﷺ– قصد هذين المعنيين حتى ينفي أي استفادة من صاحب الغنى بغناه دون إرادة الله – عز وجل – ، فهو لن يجلب به نفعا منعه الله – عز وجل – منه ، ولن يمنع عنه ضرا كتبه الله – عز وجل– عليه.

إذا التعبير بحرف الجر (من) كان في غاية الحسن ؛ لأنه أضاف إلى الكلام معنى جديدا تم به المقصود ، وأكمل به المراد ، وأظهر به مدى ضعف الإنسان أمام ربه ، وأنه مهما أوتي من حظ وغنى فلن يمنعه ذلك من مراد الله – عز وجل – فيه سواء كان هذا في الدنيا أو الآخرة.

وقد قدم النبي – ﷺ– المفعول (ذا الجد) على الفاعل ؛ لأهميته ولأنه هو المقصود الأكبر من كلامه ، فمدار الكلام على صاحب الغنى المغتر بغناه الذى قد يظن أن غناه نافع له ، فكان هو الأولى بالتقديم لسرعة نفي النفع عنه ، كما أن تأخير الفاعل (الجد) مؤذن بضعف شأنه ، وهوان أمره ؛ لأنه لا يستطيع أن يمنع أحدا من نفاذ مراد الله – عز وجل – فيه.

---

(١) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٦/٤

(٢) فتح الباري ٣٣٢/٢

ثانيا : التعبير بحرف الجر (إلى)٠

الحديث الأول :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ– قال: " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيستشهد"(١)٠

الضحك في حق الله – عزو جل – مستحيل ؛ لأنه من أوصاف البشر ، والله – عزو جل – ليس كمثله شيء في ذاته أو أوصافه ؛ لذلك ذهب العلماء إلى حمل الضحك على معنى يليق بجلاله – سبحانه وتعالى – ، وهو الرضا والقبول.

إذا التعبير بالفعل (يضحك) من قبيل الكناية عن الرضا والقبول ، وهي كناية قد حسنت في موقعها لتظهر مدى رضا الله – عزو جل – عن هذين الرجلين ، ومدى قبوله لهما ؛ لأن الرضا والقبول معنيان باطنان ، أما الضحك الدال عليهما فظاهر ، فكان من المناسب هو التعبير بالضحك ليكون دليلا قويا على رضا الله – عزو جل – وقبوله(٢)٠

كما أن التعبير بالفعل (يضحك) أظهر هذه المفارقة العجيبة ، ولفت الانتباه إلى هذه القضية الغريبة أن رجلين يقتل أحدهما الآخر ، ثم يدخلان الجنة معا ؛ لأن الضحك في أحيان كثيرة عند بنى الإنسان يكون عند الاندهاش من شيء عجيب ، فكان التعبير بالضحك في غاية البلاغة ؛ ليشير إلى هذا الأمر العجيب الغريب ، ولو كان التعبير بالرضا أو القبول

---

(١) رواه:البخاري (٢٨٢٦) كتاب (الجهاد والسير)، ومسلم (١٨٩٠) كتاب (الإمارة)٠
(٢) ينظر : فتح البارى ٤٠/٦ ، والكواكب الدراري ١٢٣/١٢

لما أظهر للمتلقى غرابة هذه الحادثة ، ولما ألقى في روعه العجب الذي لا ينقضي منها .

ثم عبر النبي – ﷺ– بحرف الجر (إلى) فقال : يضحك الله إلى رجلين ، مع أن الأصل أن لا يتعدى الفعل (يضحك) بهذا الحرف ؛ لكي يشير إلى معنى الانتهاء والوصول ، أي : أن رضا الله عنهما ، ومحبته لهما واصلة إليهما ، فهذا الحرف جسد رضا الله – عز وجل– في صورة شيء محسوس قد بدأ من الله – عز وجل – وانتهى إليهما ، وهذا من شأنه أن يؤكد هذا الرضا في أذهان المخاطبين ، ويمكنه من قلوبهم.

كما أن التعبير بحرف الجر (إلى) قد أشار – أيضا – إلى معنى آخر وهو الإقبال ، لأن الإقبال يتعدى بحرف الجر إلى ، أي أن الله يقبل إليهما ، وهو كناية أيضا عن المحبة والقرب[1].

إذا من خلال ما سبق يتبين لنا مدى بلاغة الرسول – ﷺ– العالية ، وقدرته البيانية الفائقة على حشد المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة فبكلمتين (يضحك – إلى) استطاع من خلالهما تصوير غرابة هذه القضية ، والتأكيد على محبة الله – عز وجل – لهما المصحوبة بالدليل ، ثم تصوير هذه المحبة في شيء محسوس بدأ منه – سبحانه – وانتهى إليهما ، ثم إظهار وكأن الله – عز وجل – أقبل إليهما قبول محبة ورحمة. فسبحان من ألهمه هذه البلاغة ، وأقدره على تملك ناصيتها ، والإمساك بزمامها.

الحديث الثاني :

---

(١) ينظر : شرح الطيبي على المشكاة ٢٦٣٦/٨ ، وعمدة القاري ١٢٣/١٤

عن أبي هريرة، أن رسول الله – ﷺ– قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[(١)].

في هذا الحديث قال النبي – ﷺ– : (العمرة إلى العمرة) ، وأصل الكلام : العمرة مع العمرة كفارة لما بينهما ؛ لذلك ذهب كثير من شراح الحديث إلى أن (إلى) في هذا الحديث بمعنى (مع)٠

يقول الإمام الزرقاني : "يحتمل كما قال الباجي، وتبعه ابن التين: أن إلى بمعنى مع، كقوله تعالى: {من أنصاري إلى الله} [آل عمران: ٥٢] "[(٢)]. وقد نقل هذا القول وركن إليه ابن حجر ، والعيني ، والقسطلاني[(٣)].

وقد تأثر هؤلاء الشراح بما ذهب إليه كثير من علماء اللغة من أن من معاني (إلى) أنها تكون بمعنى (مع)٠

يقول المرادي– وهو يعدد معاني (إلى) – : " الثاني: أن تكون بمعنى مع، كقوله تعالى " من أنصاري إلى الله ". قال الفراء: قال المفسرون: أي: مع الله، وهو وجه حسن٠٠٠انتهى.وكون إلى بمعنى مع حكاه ابن عصفور، عن الكوفيين. وحكاه ابن هشام عنهم، وعن كثير من البصريين[(٤)].

ولكن عند التحقيق نجد أن (إلى) حرف جر يدل على الانتهاء، و(مع) اسم يدل على المصاحبة فلكل منهما معنى يختلف عن الآخر. فكيف إذا ينوب (إلى) عن (مع) ، لذلك يكون التعبير بأي منهما مقصودا من

---

(١) رواه:البخاري (١٧٧٣) في (أبواب العمرة)، ومسلم (١٣٤٩) كتاب (الحج)٠
(٢) شـــرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري
تحقـــيق: طه عبد الرءوف سعد ٤٠١/٢ الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م
الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة٠
(٣) ينظر : فتح الباري ٥٩٨/٣ ، وعمـــدة القارى ١٠٨/١٠، وإرشاد الساري ٢٦١/٣
(٤) الجنى الداني في حروف المعاني ٣٨٥-٣٨٦

المتكلم ؛ لكي يشير إلى معان يهدف إليها ، لا تتأدى عندما يعبر بالآخر منهما[١].

ولو طبقنا ذلك على هذا الحديث لتبين لنا أن الرسول – ﷺ– قصد التعبير بـ (إلى) ؛ ليلمح إلى معان لا تأتى بـ (مع)، وهذه المعاني هي:

أولا : قصد الرسول – ﷺ– إلى الإشارة إلى امتداد هذه العمرة حتى تصل إلى العمرة التي تليها ، فهي ليست عمرة قد انتهى صاحبها من أدائها وحسب ، بل هى عمرة ممتدة إلى أن تلامس الأخرى. ومعنى امتداد العمرة هنا هو امتداد آثارها، فالحالة الإيمانية التى لازمت صاحب العمرة في عمرته ، وآثارها الروحية من محبة الله – عز وجل– وخشيته ، وطلب رضوانه مغفرته لابد أن تظل مصاحبة للمؤمن حتى بعد فراغه من عمرته ، ويظل هكذا إلى العمرة التى تليها، فهذا بالفعل من شأنه أن يكفر الذنوب التي بين العمرتين. إذا التعبير بحرف الجر (إلى) أشار إلى هذا المعنى الرائع البديع وهو استبقاء أثر العمرة ومد هذا الأثر ومطه حتى يصل للعمرة الأخرى ، وعندها يكون هذا الشخص بالفعل حريا بمغفرة الله– عز وجل – له ، وتكفيره لذنوبه وسيئاته.

ثانيا : التعبير بحرف الجر (إلى) أشار إلى الاستمرارية في أداء العمرة ، والمواظبة عليها. فما أكاد أنتهي من عمرة إلا وأشرع في غيرها

(١) ينظر : من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ، صـ ٢٧٨

وهكذا حتى لكأنه ليس هناك فاصل بين العمرتين ، وهذا من النبي – ﷺ– على سبيل المبالغة ، ولكنه قصده حتى يحث المؤمنين على المواظبة على أداء العمرة كلما سنحت فرصة، أو واتت ظروف.

والنبي – ﷺ– قد استخدم هذا الأسلوب – أيضا – في حديثه المشهور :" «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»[1] ؛ لكي يلمح – أيضا– إلى ما تم ذكره من معاني.

ويبدو أن تعبير النبى– ﷺ– بحرف الجر (إلى) بدل (مع) هو أثر من آثار تأثره بالقرآن الكريم حيث ورد هذا التعبير في قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ... الآيةچ[2] ، وقوله تعالى : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ چ[3] ، وقوله تعالى : چ ج ج ج چ چ چ چ چ چ چ ي چ[4] ، فحرف الجر (إلى) في هذه الآيات يشير إلى معنى امتداد الشيء حتى يصل إلى الآخر ، فعيسى – عليه السلام – أراد من أنصاره أن يكثروا ويتعاظموا حتى لكأنهم وصلوا إلى الله – عز وجل– لنصرته ، وفي الآية الثانية : صور الله – عز وجل– القوة التى سيزيدهم إياها وكأن طرفها عنده ثم أخذ يمدها ويمطها حتى وصلت إلى قوتهم

---

(١) رواه: مسلم (٢٣٣) كتاب (الطهارة).
(٢) سورة : آل عمران . آية : ٥٢
(٣) سورة : هود . آية : ٥٢
(٤) سورة : التوبة . آية : ١٢٥

مبالغة في عظم هذه القوة ، وفي الآية الثالثة : صور الله – عز وجل– هذا الرجس وكأنه زاد وانتفخ حتى وصل إلى رجسهم الأول فانضم إليه؛ لكي يبين مدى عظم هذا الرجس وضخامته[1].

وهكذا يتبين أن التعبير بحرف الجر (إلى) لا يمكن أن يؤدي معنى (مع) وإنما لكلٍ معناه المحدد الذي يتطلبه المقام ، ويقتضيه السياق.

(١) ينظر : من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم . صـ ٢٧٩ : ٢٨١

المبحث الرابع
من أسرار التعبير ببعض حروف الجر الأخرى

أولا: حرف الجر (عن)

الحديث الأول:

عن أبي موسى – رضي الله عنه– قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل، فَحُدِّثَ بشأنهم النبي – ﷺ– فقال: «إن هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم»(١).

عبر النبي – ﷺ– بحرف الجر (عن) في قوله : فأطفئوها عنكم ، والأصل أن لا يتعدى الفعل (أطفأ) بهذا الحرف بل إنه يتعدى بنفسه ، فتقول : أطفىء النار وعندها يتم المعنى ولا يحتاج لحرف جر أصلا .لذلك ذهب بعض العلماء إلى تقدير محذوف يتعلق به حرف الجر (عن) ؛ لأنه لا يصح تعلقه بالفعل (أطفأ).

يقول الشيخ علي القاري: " وقوله: (عنكم) : متعلق بمحذوف أي مجاوزين إضرارها عنكم" (٢).

ولكن لا داعي لتقدير محذوف لأنه خلاف الأصل ، ويكون التعبير بحرف الجر (عن) على سبيل التجوز المقصود به معنى يفهم من سياق الكلام ، وقرائن الأحوال.

وقد قصد النبي – ﷺ– التعبير بهذا الحرف ؛ ليضيف إلى الإطفاء معنى جديدا وهو الإبعاد. أي: لا تكتفوا أيها المسلمون بأن تطفئوا هذه النار بل

---

(١) رواه:البخاري (٦٢٩٤) كتاب (الاستئذان)، ومسلم (٢٠١٦) كتاب (الأشربة).
(٢) مرقاة المفاتيح ٢٧٦١/٧

مع إطفائها أبعدوها عنكم ، وأخرجوها من المكان الذى تبيتون فيه ، وهذا منه – ﷺ– على سبيل الاحتياط الكامل والحذر التام من مخاطر النار حتى لا تصيبهم بأضرارها إذا ناموا وهى متقدة ، وتساهلوا في البيات بجوارها وهي مشتعلة.

كما أن التعبير بحرف الجر (عن) هو المناسب لكون النار عدوا وهو المعنى الذي ذكره النبي – ﷺ– في أول الحديث ، فما دامت عدوا عظيما خطره ، كبيرا ضرره فلابد من أن نبعدها عنا ، ونحاذر المجاورة منها وقت النوم.

وقد سلك النبي – ﷺ– في هذا الحديث مسلك التشبيه ؛ لكي يبين خطورة هذه النار ، حيث شبهها بالعدو المتربص للضرر ، المتحفز للإيذاء. وهو تشبيه بليغ صور النار وكأنها عدو على الحقيقة ، ثم أكد هذه العداوة عن طريق القصر بالأداة (إنما) ؛ لكي يبين أن هذه النار وكأنها مقصورة على العداوة دون منفعة ، مخلوقة للضرر دون فائدة، وهذا منه – ﷺ– على سبيل الادعاء والمبالغة ؛ لأن النار فيها منافع كثيرة وفوائد عديدة ، بل هي من عصب الحياة ومقوماتها والتى لا تقوم حياة أي إنسان إلا بها ، ولكن قصد النبي – ﷺ– هذه المبالغة حتى يكون الإنسان منها على حذر ، ومن مخاطرها على وجل ، وخاصة عند النوم.

الحديث الثاني:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري، يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله، هل سمعت النبي – ﷺ– يقول:

«يا حسان، أجب عن رسول الله – ﷺ– اللهم أيده بروح القدس» قال أبو هريرة: نعم[١].

الفعل أجاب لايتعدى بحرف الجر (عن) وإنما يتعدى بنفسه ، فتقول : أجابه إجابة وجوابا ، وأجاب الله دعاءه بمعنى استجاب[٢].

ولكن في هذا الحديث عداه النبي – ﷺ– بـ (عن) ؛ لذلك اختلف شراح الحديث في توجيه هذه التعدية على قولين : الأول : أن هذه التعدية ألمحت إلى معنى الجهة ، ولفظ الجهة مقدر ، ويكون التقدير : قل هجاء المشركين عن جهتي. الثاني : أن حرف الجر (عن) مقصود به تضمين الفعل (أجب) معنى الدفاع ، ويكون التقدير : دافع عني[٣].

وعند التأمل في هذين القولين نجد أن الأرجح هو القول الثاني ؛ لأن كون الهجاء عن جهة رسول الله – ﷺ– لا يضيف أي معنى جديد وليس فيه أدنى فائدة ؛ لأنه من المعروف أن حسان بن ثابت لا يجيب إلا من جهة رسول الله – ﷺ– ؛ لأنه أحد أصحابه ومن أشد المدافعين عنه ؛ لذلك كان القول الثاني أولى بالقبول لأنه أضاف معنى جديدا يضاف إلى معنى الإجابة وهو الدفاع.

والنبي – ﷺ– قصد معنى الدفاع عن طريق التعبير بحرف الجر (عن) ؛ ليكون ملهبا لحماسة حسان بن ثابت ، ومهيجا لقوته في الدفاع عن الرسول – ﷺ– . فهذا التعبير صور هجاء المشركين للنبي – ﷺ– وكأنه سهام مسددة تجاهه ، وهو يريد من يدفع عنه هذه السهام ، ويحميه منها. إن صورة كهذه الصورة كفيلة أن تلهب حماس حسان بن ثابت

---

(١) رواه:البخاري (٤٥٣) كتاب(الصلاة)، ومسلم (٢٤٨٥) كتاب (فضائل الصحابة).
(٢) ينظر : لسان العرب ٢٨٣/١
(٣) ينظر : عمدة القارى ٢١٨/٤ ، وإرشاد الساري ٢٦٩/٥

وتحفزه تحفيزا كبيرا للدفاع عن محبوبه رسول الله – ﷺ– وهذا هو السر الجميل وراء التعبير ب(عن) في هذا السياق.

ولم يكتف النبي – ﷺ– بهذا في إلهاب حماسة زيد في الدفاع عنه ، بل زاد – أيضا – في هذا الإلهاب عن طريق التعبير بقوله (أجب عن رسول الله) بدلا من قوله (أجب عني)[١] ؛ لأن في هذا التعبير تذكيرا له وتأكيدا بأنه إنما يدافع عن رسول الله – عز وجل– ، ومبعوثه إلى خلقه وهذا من شأنه أن يقوي قلب زيد ويلهب حماسته ، كما دعا له بأن يؤيده الله – عز وجل– بروح القدس ، وهو جبريل – عليه السلام– ؛ لكى يكون دافعا جديدا له يدفعه للتحمس فى الدفاع عنه – ﷺ– ، والحماية له من هجائهم الشائن وسبهم المقذع.

ثانيا: حرف الجر (اللام)

الحديث الأول:

عن أبي هريرة، أن رسول الله – ﷺ– قال: «إذا صلى أحدكم للناس، فليخفف، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»[٢].

من المعروف أن صلاة الإمام في الصلاة إنما تكون بالناس وليست للناس ، فالأصل : إذا صلى أحدكم بالناس ؛ لذلك ذهب بعض شراح الحديث إلى أن اللام هنا بمعنى الباء[٣] ، وهذا قول مرجوح كما سبق توضيحه[٤] ؛ لأن حروف الجر لاينوب بعضها عن بعض ، وإنما لكل حرف

---

(١) ينظر : الكواكب الدرارى ١١٣/٤
(٢) رواه:البخاري (٧٠٣) كتاب (الأذان)، ومسلم (٤٦٧) كتاب (الصلاة).
(٣) ينظر : مرقاة المفاتيح ٨٧٢/٣
(٤) ينظر : صـ ٧–٨ من البحث

معناه المستقل ، وإنما يعبر بحرف الجر على خلاف الأصل ؛ ليفيد معنى يقصده المتكلم ، ويريد لفت الذهن إليه.

وفي هذا الحديث قصد النبي – ﷺ– لفت ذهن من يصلي بالناس إلى استحضار أنه إنما يصلي للناس ومن أجلهم ، وأنه ما تقدم لإمامتهم إلا لكي يصحح صلاتهم ويقيم جماعتهم ، ومع أن هذا الإمام إنما يصلى لنفسه – أيضا– عندما يؤم الناس لكن النبي – ﷺ– أراد تنبيهه إلى الجانب الآخر وهو جانب الناس ، وهذا من شأنه أن يدفع هذا الإمام إلى رحمة هؤلاء المأمومين والشفقة عليهم ؛ لأنه يستحضر أنه ما قام فيهم إماما إلا من أجلهم وليس من أجل نفسه ، ومادامت هذه الإمامة لهم ومن أجلهم فعليه إذا أن يكون رفيقا بهم ، فلا يطول عليهم الصلاة حتى لا يشق عليهم.

كما أن التعبير بحرف الجر (اللام) هنا كان مناسبا تمام المناسبة مع قوله: (وإذا صلى أحدكم لنفسه) ، فالإنسان على الحقيقة إنما يصلي لنفسه وليس بنفسه ، ومعنى يصلى لنفسه ،أى: لأجل منفعتها حتى يحصل لها الثواب ، ويقيها من العذاب. وعلى هذا لو قال النبي– ﷺ– (إذا صلى أحدكم بالناس) مع قوله: (وإذا صلى أحدكم لنفسه) لم يكن هناك تناسب في الكلام وتوازن وهذا مما تربأ عنه بلاغة الرسول– ﷺ– ، لكن التعبير بحرف الجر (اللام) فى المقطع الأول ناسب التعبير نفسه فى المقطع الثاني ، فخرج الحديث بهذا التوازن الرائع والتناسب البديع.

ولكي يحمل النبي – ﷺ– هذا الإمام على تخفيف الصلاة بالمأمومين فإنه بين له السبب ، وهو أن فيهم الضعيف والسقيم والكبير ، وهذا من شأنه أن يدفع هذا الإمام دفعا لقبول هذا التوجيه النبوي الشريف ، والتصريح بالسبب يؤدى مؤدى التعبير بحرف الجر (اللام) في أن كليهما مقصود به ترغيب هذا الإمام ، وحثه على الشفقة بالمأمومين بعدم تطويل الصلاة عليهم.

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن رسول الله – ﷺ – قال: " إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه "[(١)].

مادة السمع في اللغة العربية لها ثلاثة أحوال من حيث التعدي بحروف الجر :

١- الفعل (سمع) في أصل وضعه يتعدى إلى المفعول بنفسه فتقول: سمعت فلانا يتكلم[(٢)].

٢- الفعل (استمع) في أصل وضعه يتعدى بحرف الجر (إلى) مثل قوله تعالى : ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ... الآية ﭼ[(٣)][(٤)].

٣- أن يتعدى الفعلان السابقان بحرف الجر (اللام) على خلاف الأصل ، فيفيد معان جديدة وهي: القبول أو الانقياد أو الاستجابة. فمثلا قوله تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ[(٥)] أفاد معنى القبول والانقياد ، أي : اقبلوه وانقادوا له ، ومثل قوله تعالى : ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ... ﭼ

---

(١) رواه:البخاري (٧٩٦) كتاب (الأذان)، ومسلم (٤٠٩) كتاب (الصلاة).
(٢) ، (٤) ينظر : لسان العرب ١٦٢/٨
(٣) سورة : محمد . آية : ١٦
(٥) سورة : الأعراف . آية : ٢٠٤

الآيةچ[١] أي، يقبلون هذا الكذب ويعتقدون به ، ومثل قوله تعالى : چ ٱ ب ب پ پ چ[٢] ، أي: استجب لما أوحيه إليه ، وكن منقادا له[٣].

وعندما ننظر إلى الحديث الشريف نجد أن النبي – ﷺ– قال (سمع الله لمن حمده) حيث عدى الفعل (سمع) بحرف الجر (اللام) ؛ ليفيد معنى الاستجابة ، وهكذا فسره الإمام النووي حيث قال :" ومعنى سمع الله لمن حمده ، أي: أجاب دعاء من حمده. ومعنى يسمع الله لكم يستجب دعاءكم"[٤].

وقد يسأل سائل : لماذا لم يقل النبي – ﷺ– : (استجاب الله لمن حمده) ما دام السمع هنا بمعنى الاستجابة ؟.

والجواب : أن التعبير بالسمع أفاد أن الله– عز وجل– يسمع حمد هذا الحامد ، وينصت إليه ، وهذه مزية ما بعدها مزية وتكريم ما بعده تكريم ، كما أنه يشعر بمحبة الله – عز وجل – بأن يسمع هذا الحمد ؛ لأن من يسمع شيئا في الغالب لا يسمعه إلا وهو محب له ، مقبل عليه ، وهذه المعانى الرائعة لا تتأتى لو عبر بالفعل (استجاب)[٥].

كما أن التعبير بالفعل (سمع) يوحي بتأكيد استجابة الله – عز وجل – لهذا الحامد ؛ لأنها استجابة مؤسسة على سماع منه – عز وجل– لعبده ، وما دام قد سمع حمد عبده سماع محبة ورضا ، فإنه بلا شك سيستجيب لعبده ، ويحقق أمله ومبتغاه.

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٤١
(٢) سورة : طه . آية : ١٣
(٣) ينظر : من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم.صـ ٢٢٩
(٤) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٢١/٤
(٥) ينظر : الكواكب الدراري ١٠٤/٥

وقد عبر النبي – ﷺ– بالفعل الماضي (سمع) ؛ للدلالة على تحقق هذا السماع ، ثم تحقق الإجابة بعده، حتى يطمئن قلوب الحامدين ، ويؤكد لهم أن سماع الله – عز وجل – لهم محقق وإجابته لهم مؤكدة.

ثالثا: حرف الجر (الباء)

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه– : أن النبي– ﷺ– قال: «إياكم والجلوس بالطرقات» فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، فقال: «إذ أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه ... الحديث»[(١)].

نلحظ في قوله – ﷺ– (إياكم والجلوس بالطرقات) أنه عبر بحرف الجر (الباء) بدلا من الفاء ، والأصل : (إياكم والجلوس في الطرقات) وقد وردت إحدى روايات هذا الحديث بالفاء على الأصل ، وهذا مما يؤكد أن التعبير بالباء هنا بديلا عن الفاء.

يقول الإمام العيني :" والباء في بالطرقات بمعنى في ، وكذا في رواية الكشميهني في الطرقات "[(٢)].

والسر وراء التعبير بحرف الجر (الباء) ؛ لإفادة معنى الإلصاق لكي يتناسب مع التحذير من الجلوس الطويل في الطرقات، فالنبي – ﷺ– أراد أن يصور الصحابة وكأنهم ملتصقون بالطرقات ، مشدودون إليها من كثرة جلوسهم فيها ، لذلك يحذرهم من هذا الصنيع لما يترتب عليه مضار في دينهم ودنياهم ، فحرف الباء هنا ألمح إلى الجلوس الطويل ومدى المداومة عليه ، حتى لكأنهم لا يفارقون الطريق ؛ لأنهم ملتصقون به

---

(١) رواه:البخاري (٦٢٢٩) كتاب (الاستئذان)، ومسلم (٢١٦١) كتاب (السلام).
(٢) عمدة القاري ٢٢/٢٣٣

التصاقا يمنعهم من مفارقته ، والبعد عنه. وهذا مما ينبغى الحذر منه والابتعاد عنه.

وقد سلك النبي – ﷺ– مسلك التحذير باستخدام الأداة (إياكم) بدل النهي (لا تجلسوا) ؛ لأنه أقوى في التحذير وأبلغ ؛ لكي يشعرهم بضرر الجلوس الطويل في الطرقات.

كما عبر النبي – ﷺ– بجمع الجمع (الطرقات)[1] بدل الجمع (الطرق) ؛ حتى يبين للصحابة أن هذا النهى إنما يتعلق بكل الطرق صغيرها وكبيرها ، مما يكثر طروقه من الناس أو مما يقل ؛ لذلك أتى بجمع الجمع ؛ ليكون أبلغ في العموم والشمول.

الحديث الثاني :

عن أبي هريرة، أن رسول الله – ﷺ– قال: " بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش... الحديث "[2].

عبر النبي – ﷺ– بحرف الجر (الباء) بدلا من (في) في قوله : (بينما رجل يمشي بطريق) ، والأصل : يمشي في طريق ؛ لذلك ذهب بعض شراح الحديث إلى تفسير يمشي بطريق ، يعني : في طريق[3].

إن التعبير بحرف الجر (الباء) أفاد معنى الإلصاق ، حيث صور هذا الرجل خائر العزم ، منهوك القوى ، متثاقل الخطى من شدة ما أصابه من الإرهاق والتعب بسبب العطش الذي كابده حتى لكأن قدمه قد التصقت

---

(١) ينظر : فتح الباري ١٠/١١

(٢) رواه:البخاري (٦٠٠٩) كتاب (الأدب)، ومسلم (٢٢٤٤) كتاب (السلام).

(٣) ينظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان البكري الشافعي ٣٦٥/٢ الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

بالأرض وشدت إليها ، فهو يسير بها ، وينقلها معه كلما خطا خطوة ، أو سار سيرا.

كما كان التعبير بقوله (اشتد عليه العطش) موضحا للحالة التي أوصلته إلى هذا التعب المضني ، وهو شدة العطش. بل صور النبي – ﷺ– هذا العطش وكأنه رجل قوي البنيان ، مفتول العضلات قد اشتد عليه شدة أرهقته وحملته من العنت مالا يطاق ، لذلك عبر بحرف الجر (عليه)؛ ليصور هذه الشدة وكأنها حمل ثقيل قد حُمِّل عليه حتى أتعب ظهره ، وأثقل كاهله مما جعله يمشي مشيا وئيدا حتى ليخيل للرائي وكأنه مشدود إلى الأرض ملتصق بها.

إن هذه التعبيرات البيانية الرائعة قد رسمت لنا هذه الصورة الموحية ، حتى نعلم من خلالها مدى المكابدة التى كابدها هذا الكلب الذي أضناه العطش ، وهد من قواه الظمأ. فكما اشتد الامر على هذا الرجل بهذه الصورة فإنه اشتد أيضا على هذا الكلب ، ومن هنا يتبين لنا مدى حسن صنيع الرجل بهذا الكلب ، ومدى شفقته عليه ؛ لذلك كان أهلا لرحمة الله – عز وجل– ومغفرته.

خاتمة البحث

وبعد هذا التطواف الممتع فى رحاب الحديث النبوي الشريف أبين أهم النتائج التى توصلت لها فى هذا البحث، وهى:

الأولى : الأرجح أن يكون التعبير بحرف جر دون آخر من قبيل الخروج على خلاف مقتضى الظاهر وبهذا يكون هذا التعبير ألصق بعلوم البلاغة ، وأقرب إلى أساليبها ، مما يستدعي البحث عن الأسرار البلاغية الكامنة وراء هذا التعبير

الثانية : جعل هذا التعبير من قبيل الخروج على خلاف مقتضى الظاهر لا يلغي القول بالتضمين ، أو تناوب الحروف وإنما يجعلهما من ضمن الأسباب التي تدعو المتكلم للتعبير بحرف جر دون آخر وهذا أولى ؛ لأنه لا يحوجنا إلى تأويلات متكلفة ، وتقديرات متعسفة لأفعال أو أسماء نحاول أن نجعل حروف الجر المذكورة في الكلام تتعلق بها .

الثالثة : أحيانا كان الرسول – ﷺ– يعبر بحرف جر دون آخر قصدا إلى معان تفهم من سياق الكلام ولا يقصد التضمين ، وأحيانا أخرى كان يقصد من وراء هذا التعبير إفادة تضمين الفعل معنى فعل آخر ، وهذا مما يؤكد النتيجة السابق ذكرها .

الرابعة : تأثر رسول الله – ﷺ– كثيرا بالقرآن الكريم فى التعبير بحرف جر دون آخر واقتفى آثره فى كثير من تعبيراته ، وقد اتضح هذا جليا فى ثنايا هذا البحث .

الخامسة : ورد التعبير بحرف الجر (على) أكثر من غيره ؛ لأنه يفيد الاستعلاء والتمكن من الشيء المستعلى عليه ، وهذا الاستعلاء يمكن استخدامه في المبالغة في أي معنى من المعاني التي يقصدها المتكلم ، وبخاصة فيما يتعلق بالأوامر والنواهي في شريعة الإسلام ؛ لذلك أكثر النبي– ﷺ– من التعبير به حتى يكون المؤمن متمكنا من أوامر دينه فيفعلها ، ومستعليا على نواهيه فيمتنع عنها .

السادسة : حرف الجر (على) ، و(في) هما أكثر حرفين يعبر بكل منها عن الآخر ، وذلك لتقارب معانيهما ، وتداخلهما فيما بينهما

السابعة : استخدم النبي – ﷺ– حرف الجر (من) كأداة للتشبيه في قوله (الكمأة من المن) ، وهذا يدل على جواز استخدامه في التشبيه ، وإن كان هذا غير مشهور عند كثير من علماء البلاغة .

الثامنة : حرف الجر (إلى) لايكون بمعنى (مع) كما ذهب إليه كثير من العلماء ، وإنما يفيد (إلى) دائما الوصول والانتهاء ، وهو معانه الحقيقي ، وقد تبين هذا من خلال التعبير به في بعض الأحاديث النبوية ، وبعض الآيات القرآنية ، مرادا به معانه الحقيقي حتى وإن أوهم ظاهره أنه بمعنى (مع) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قائمة المراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانيا : مراجع أخرى.

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني ، ط: السابعة، ١٣٢٣هـ المطبعة الكبرى الأميرية، مصر .

٢- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، المحقق: عبد الحسين الفتلي ، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت .

٣- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب،لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوسي المحقق: الأستاذ مصطفى السقا – د/ حامد عبد المجيد عام النشر: ١٩٩٦ م الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

٤- إكمال المعلم بفوائد مسلم.للقاضى عياض اليحصبى.تحقيق/ يحيى إسماعيل الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر .

٥- التحرير والتنوير ، للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ الدار التونسية للنشر – تونس .

٦- التضمين النحوي في القرآن الكريم، د/ محمد نديم فاضل ، ط:الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م ،مكتبة دار الزمان المدينة المنورة.

٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، المؤلف: محمد سيد طنطاوي ط: الأولى ، يناير ١٩٩٧ ، الناشر: دار نهضة مصر – القاهرة.

٨- التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، لسراج الدين ابن الملقن تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ،ط: الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨ م الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا .

٩- الجنى الداني في حروف المعاني، لبدر الدين المرادي المصري، المحقق: فخر الدين قباوة الأستاذ محمد نديم فاضل ، ط: الأولى، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٠- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، لمحمد بن علي الصبان الشافعي الطبعة:الأولى١٤١٧هـ -١٩٩٧م، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
١١- حروف الجر بين النيابة والتضمين ، د/أحمد مطر العطية وهو بحث منشور بمجلة التراث العربي، العدد (١١٢) سنة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م وهي تصدر عن اتحاد الكتاب العربي – دمشق.
١٢- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني ، الطبعة: الرابعة ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي تحقيق: الدكتور/أحمد محمد الخراط ، ط: بدون ، الناشر: دار القلم، دمشق.
١٣- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان البكري الشافعي الطبعة: الرابعة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
١٤- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.
١٥- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)لشرف الدين الطيبي، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، ط: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م ، مكتبة نزار- مكة المكرمة.
١٦- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح.جمال الدين بن مالك الأندلسى.المحقق: الدكتور طه محسن ،ط: الأولى، ١٤٠٥ هـ الناشر: مكتبة ابن تيمية.

١٧- صحيح البخاري ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ الناشر: دار طوق النجاة
١٨- صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي- بيروت٠
١٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري٠بدر الدين العينى ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت٠
٢٠- فتح البارى شرح صحيح البخاري٠لابن حجر العسقلاني تصحيح: محب الدين الخطيب طبعة: ١٣٧٩هـ ٠دار المعرفة – بيروت٠
٢١- الفروق اللغوية ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، حققه/ محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة٠
٢٢- قضية تعاقب الحروف ومذاهب العلماء فيها، د/ قاسم بدماصي وهو بحث منشور بمجلة (العلوم العربية) العدد الثاني والثلاثين ، رجب ١٤٢٥هـ وهى مجلة تصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية٠
٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، للزمخشري ،ط:الثالثة ١٤٠٧هـ ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت٠
٢٤- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني ، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان٠
٢٥- لسان العرب ٠لابن منظور ٦٦٢/١١ الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ الناشر: دار صادر – بيروت٠
٢٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح٠للشيخ:على القاري الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م٠ دار الفكر، بيروت – لبنان٠
٢٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للفيومي ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت
٢٨- معاني القرآن ٠ للإمام الفراء٠تحقيق: أحمد يوسف نجاتى وآخرون، الطبعة: الأولى الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر٠

٢٩- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام ،تحقيق: د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله، ط: السادسة، ١٩٨٥م ،دار الفكر – دمشق ،
٣٠- المفردات في غريب القرآن ،للراغب الأصفهانى ،تحقيق: صفوان الداودي ط: الأولى- ١٤١٢ هـ ،دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ،
٣١- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق:محيي الدين ديب ميستو وآخرون ،ط: الأولى ١٤١٧ هـ ،(دار ابن كثير – دار الكلم الطيب) دمشق – بيروت ،
٣٢- من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم ،د/ محمد أمين الخضرى ، ط: الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ،مكتبة وهبة – القاهرة ،
٣٣- شرح النووي على صحيح مسلم المعروف بـ (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) للإمام النووي الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،
٣٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،للإمام البقاعي ، ط: بدون ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.